البَـابُ الأولـ

أدب الطفل
من الرؤية التاريخية
إلى التوجهات التربوية

الفصل الأول

أدب الطفل
من منظور تاريخي

أولا – في النشأة

١ – ينبوع الفطرة :

إن الباحث في نشأة وتطور أدب الطفل لا يمكنه تجاوز الفطرة التي فطر الله الأمومة عليها ، وهي الالتصاق بالطفل وحمايته ، والعطاء السخي في سبيل حياته وتنميته وتربيته وتعهده ، وإشاعة الدفء والحنان والعطف حول مهده .. وبث روح الأمن والأمان في نفسه حينما تهز المهد بيمينها هزات ذات إيقاع هادئ هامس لتنيمه ، وقد يعلو صوتها ، مموسقا بأغنية المهد ، فتشيع البهجة والأنس حوله .. ونستطيع لهذا أن نجزم بأن « أدب الطفل » ، قد اشتق معجمه وتشكيلاته اللغوية ، وإيقاعاته ، من العلاقة الفطرية بين « الأمومة والطفولة » .. وأن ينبوع الفطرة ، كان مددا ثرا بالعطاء اللغوي والمعنوي والموسيقي ، الذي يشكل في النهاية « أغنيات المهد » التي لو احتفظت البشرية عبر دوراتها بأشكال منها لوجدنا تمام الشبه بينها في الماضي السحيق ، وما هي عليه الآن .. ويمكن اعتبار « أغنية المهد » أول شكل أدبي في التراث الأدبي الإنساني يخاطب الطفولة ، ويقصد إلى إحداث تناغم وإمتاع لدى « طفل المهد » فمن الكلمات المنغمة ، وهز المهد ، واحتضان الطفل ، وهدهدته ، وترقيصه نشأت أشكال لغوية منغمة ، يمكن اعتبارها الكلمة الأولى في تراث « أدب الطفل » ، والأغنية حينئذ ، وفي هذا الإطار ، وبأثر من العلاقات العفوية الفطرية التي تنشأ بين الأمومة والتدفق العفوي الإبداعي الذي يتكون عبر الالتصاق الحميم الموصول بين الأم والطفل ، أو هذه الكلمات الدافئة ، التي تنبتها أحضان الأمومة يمكن تصور أدب الطفل على أنه كلمات منغمة قريبة من الأداء الصوتي للطفل ، وليس المقصود منه إتاحة المعرفة ، وإيجاد التوجيهات .. بل المقصود المشاركة وجلب السرور والسعادة عند الاستنامة ، والملاعبة والترقيص ، وإزالة عوامل الوحشة .

٢ – روافد أدبية تراثية :

وإذا كانت الفطرة قد غذت الأمومة بالصياغات الفطرية لأدب الطفل ، فإن التراث الأدبى الإنسانى والعربى قد شكل الروافد الأدبية التى غذت الصياغات الفنية والتراث الأدبى فى مجال أدب الطفل وعبر مراحل امتدت فى الزمان والمكان .. وأخذت تتطور وتكثف تراثا إنسانيا أدبيا نلتقى به فى إبداع « المصرى القديم » ، ومناحى البابليين والآشوريين والفينيقيين والفارسيين والأثينيين والرومانيين والصينيين واليابانيين والهنود وقبائل إفريقيا والعرب المنتشرة قبائلهم فى الشمال والجنوب ، وما من شك فى أن هذا التراث الأدبى المنتشر فى بلاد الحضارات القديمة كان يمثل الجانب الإنسانى العام ، والقاعدة الإنسانية للإبداع الأدبى ، والذى أصبح فيما بعد من أهم الروافد التى غذت الأدب فيما بعد .. وليس المقصود هنا أن يكون هذا التراث قد استقر فينا فى إطار من القوانين الصارمة التى تحقق تصنيفا نوعيا للأجناس الأدبية ، وإنما الذى أتيته من هذا التراث بروافده المختلفة أن يفى بحاجة الإنسان فى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره وأمومته ، وعواطف الأبوة وفرحة الأمومة ، ويقدم لغة فنية تستطيع الأم أن تخاطب بها أبناءها .. من ذلك ما يحتفظ لنا به ذلك التاريخ الأدبى الموغل فى القدم .. لكنه يتضمن مشاعر وعواطف هى ألصق بالإنسان من حواسه وأقرب إليه من أجزاء جسمه ، ويشكل هذا التراث من الشعر الغنائى وشعر الملاحم ، والحكايات ، والأساطير ، والخرافات والحكم ، والأمثال ، والمواعظ ، والنصائح ، وأغانى المهد ، والرعاة ، والأفراح ، والأحزان ، والحروب والانتصارات ، والهزائم ، والنواح والبكائيات .. . إلخ .

وهكذا نشأ وترعرع بين أحضان الأمومة ، وليالى سمر الأجداد والجدات « أدب غنائى » كما يمكن اعتبار أدب الأساطير والحكايات الشعبية ، وأغانى الرعاة ، والقصص الموظف الذى يجرى على ألسنة الحيوانات ، تراثا يفيض بأدب الأطفال ، ويقدم مادة خصبة للأمهات والجدات والمربيات . فهذا التراث أعمال أدبية موجهة للكبار .. لكنها صالحة للصغار ويستطيع المبدعون والمربون تحويل هذا التراث المطروق فى حكاياتنا وأخبارنا ، ونوادرنا إلى أعمال تقدم للأطفال ، ولا ينقصها عنصر واحد من عناصر التشكيل الفنى الناجح ، والذى نجد فيه ما نستهدفه ونبثه فى أطفالنا من توجهات ، وإرشادات ، ومتع وتسلية وثقافة ومعرفة متخصصة ، ومعلومات عامة . فأخبار العرب ، وأبطالهم وشعراؤهم ، ومحبوهم ، وقصص « كليلة ودمنة » و« حكايات

البغدادى » وكتب « الرحلات والأسفار » « وبخلاء الجاحظ » ، والسير الشعبية أمثال : « عنترة » ، « والزير سالم » ، و« ذات الهمة » ، « ودياب بن غانم » و« أبو زيد الهلالى » وحكايات « ألف ليلة وليلة » و« المقامات » و« لسان العرب » وبعض فصول الموسوعات الأدبية والتاريخية .. هذا فضلا عن كتاب الله الكريم ، وأدبه الإلهى الأعظم ، « والأدب النبوى الشريف » ... ثم « حكايات الشطار » و« الحرافيش » و« المماليك » و« الصوفية » : « وأهل الطريق » ، و« أصحاب الحرف الشعبية » و« المهن » و« الفعلة » كل هذا يشكل ينبوعا يمكن للباحثين والدارسين والمبدعين فى ميدان « أدب الطفل » . أن يجدوا فيه مادتهم ، وأن يلتقوا مع نماذج كثيرة صالحة لأن تقدم إلى الأطفال مباشرة ... وفى كل ما يختارون سيجدون النص المناسب لكل مرحلة من مراحل نمو الطفولة ويتفق والاتجاهات العامة لتلك المرحلة .. ولا ينقص هذا كله سوى أن يعرض فى إطار فنى وجمالى ونفسى يرضى عنه الطفل ، ويتجاوب معه .

٣ - عطاء الحاضر :

لقد رأينا كيف استطاعت الفطرة أن تغذى الأمومة بكلمات المهد وغنائياته وقصصه ، وكيف كان التراث معينا لا ينضب لمد أدب الطفل ببنيته اللغوية والخيالية والتركيبية .. وإذا كان « أدب الأطفال » قد وجد فى الفطرة مصدرا لإثرائه بالعفوية الفنية ، وفى التراث معينه الذى غذاه بالصور والأخيلة والأشكال ، فإن الحاضر المعاصر والحديث ، استطاع أن يؤسس لأدب الطفل ، وأن يشهد ميلاد مبدعيه ، وولادة فنانيه على كل المستويات الأدبية والفنية . فالأدب عموما بحاجة إلى أدباء ، وأدب الطفل ينبع أصلا من الحاجة إلى تنمية الذوق والجمال ، والقدرات والتوجهات ، والمعاونة فى التنشئة والتربية .. ومن ثم يحتاج الأدب إلى أديب مبدع وثيق الصلة بعالم الطفولة ... ، ولهذا كان الحاضر المعاصر والحديث هو مرحلة ميلاد مبدعى أدب الأطفال ، وميلاد المتخصصين فى عالم الطفل الفنى والنفسى والاجتماعى .. وقد استطاع هؤلاء عبر دراساتهم أن يقتربوا من عالم الطفل ، وأن يشكلوا خطابا تربويا وفنيا وأدبيا يحمل خصائص الطفولة ، ويعكس مطالبها اللغوية والجمالية والفنية ، وذلك مع نهايات القرن التاسع عشر فى أوربا حيث

الاهتمام الحقيقى بأدب الطفل الذى أصبح محور الدراسات وإبداع « أدب المستقبل » وبدايات القرن العشرين فى مصر والعالم العربى ، لكن متى بدأ الاهتمام بأدب الأطفال ؟ وكيف تطور من بين أحضان الأمهات وعفوية الجدات ، وتحت مظلة التراث .. ؟

وإلى أى مدى يعتبر أدب الأطفال والاهتمام به وافدا علينا أم موصولا بمسيرتنا الأدبية والاجتماعية .. ؟ وما الفترة الحقيقية التى بدأ فيها أدب إبداعى يقصد فيه المبدع أن يخاطب الأطفال ويتعامل معهم بشروطهم ، وشروط عالمهم .. ؟

وتلخيصا لكل ما يقال ، ويثار من تساؤلات حول النشأة وتطور أدب الطفل نقول إنه مر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى ..

وهى نشأته الفطرية الطبيعية بين أحضان الأمومة ، وفى المهاد الأول .. وفى هذه المرحلة كانت الأشكال الأدبية ، تتميز بالعفوية ، وأحيانا بقصد ملاعبة الصغير ، ورغبة فى تسلل النوم إليه بالأغنية ، وكلمات هذه الأغنية مشتقة من الفرحة بميلاده ، والأمل فى مستقبله ، وعطف وحنان الأمومة ، هذه الأغانى خليط من أصوات الأم وبعض الأطيار ، وقريبة - أحيانا - من نطق وأداء الطفل ، وتمتزج فى هذه الأشكال اللغة بأدائها المميز ، والكلمة بمدلولها المنسجم البسيط والجملة بمضمونها الفرح ... وقد تغنى الأمومة أغنية حزينة لطفلها عندما يكون أبوه فى رحلة صيد ، أو غائبا فى سفر أو جنديا يحارب مع القبيلة .. وخلال هذه المرحلة تجمع أدب غنائى طفولى .. ثم تحول إلى حكايات وقصص ونوادر عندما يكبر الصغير ، ويلجأ إلى من ينوع له مصادر أدبه مثل الجدة والجد .. والأم والمربية .

المرحلة الثانية ..

وفى المرحلة الثانية ، ظهر التراث الشعبى والإنسانى وتبلور فى مجموعة من الكتب ، والمصادر يمكن بها تغذية أدب الطفل بأشكاله المتباينة . وفى هذه المرحلة بدأ الاهتمام بأدب الطفل والإبداع الأدبى المتخصص فى هذا اللون من الأدب النوعى . ويمكن اعتبار العقد الثانى من القرن العشرين هو بداية أدب الطفل بمصر والعالم العربى على أسس إبداعية ، وذلك إثر ظهور مجلة « الأولاد » التى كانت تصدرها « دار اللطائف المصورة » وذلك تلبية لأبناء الطبقات الأرستقراطية ، وتعتمد فى مواردها على الرسوم والصور والموضوعات المأخوذة من المجلات الأجنبية ... ثم أخذت الدائرة تتسع لتظهر خلال

أعوام ما قبل الحرب الثانية أعمال قصصية تحت مسمى « طرزان ملك الغابة » وهى أعمال تمجد البطولة الفردية الأوربية والأمريكية ، لكن « مجلة الأولاد » قصص « السوبرمان » ولم تكن كلتاهما ترتبط بالحياة المصرية والعربية كثيرا .. بل كانت ترجمات كاملة ونقلا عن المجلات والقصص .. الأجنبية ... ومع الحرب الثانية وقبيل سنة ١٩٥٢ أخذ الأستاذ كامل الكيلانى والأستاذ محمد سعيد العريان وغيرهما ، يهتمون بآداب الطفل ويترجمون الكتب والقصص والمعلومات ويصدرونها فى سلاسل ، أو مجموعات أطلق عليها ، فيما بعد ، مجموعات كامل الكيلانى .. وسعيد العريان واهتمت هذه المجموعات بنشر سلسلات عربية ومحلية من « ألف ليلة وليلة » و« كليلة ودمنة » . وكانت تكتب هذه السلسلات والقصص بلغة سهلة وحروف واضحة وتضبط الكلمات والحروف ضبطا كاملا وكنت تلمس الحضور التربوى السائد على هذه الأعمال .. والتوجه القومى والوطنى ، والتربية الدينية والاجتماعية ، وكان معظم القائمين عليها من رجالات التعليم .. إذ كان – حينئذ – هناك حرص ورغبة فى أن يكون النشاط العام خارج المدرسة والبيت موجها لدوريهما وذلك بتزويد الأطفال بمعارف ومعلومات تخدم العملية التعليمية والتربوية . فكان أدب الطفل حينئذ ، جزءا من رسالة التربية والتعليم .

المرحلة الثالثة :

وهى المرحلة ، التى شهدت تطورا جذريا ومسئوليات إبداعية ، نحو إنتاج « كتاب الطفل وأدبه » وتأسيسا على المرحلة الثانية ، واستمرارًا لدورها ، وابتداء من الخمسينيات قامت « دار الهلال » وهى دار صحفية مصورة بدعم دار المعارف التى تهتم بالمعرفة بدور فعال ونشط فى أدب الطفل وذلك بسبب إصداراتها المهتمة بهذا المجال فأصدرت مجلتى « سمير » سنة ١٩٥٧ « وميكى » سنة ١٩٥٨ ثم ظهرت « كروان » سنة ١٩٦٤ عن دار التحرير للطبع والنشر . وخلال هذه الفترة تكونت مجموعات من المثقفين والفنيين التشكيليين الذين أفرزتهم توجهات هذه المجلات وأصبح الاهتمام واضحا بالطفل وعالمه .. لكن الملاحظ على ما تقدمه هذه المجلات وتلك الأعمال الفنية أنها مستمدة فى معظمها من الإبداع الفنى والثقافى الأوربى بخاصة وقليل ذلك الذى ينتمى للشخصية العربية والإسلامية خصوصا فى مرحلة كانت تعتز بانتمائها العربى ، ومع كل هذا فإن هذه المرحلة تشهد البداية الحقيقية « لأدب الطفل » ، أى الأدب الذى يقوم على أساليب فنية تناسب عقلية الأطفال ، وتتفق ومراحل نموهم

وتتجاوب مع أفكارهم وإحساساتهم الخاصة ووجداناتهم النازعة ، وبتخذ بهم فى إطار مراحل نموهم ، حتى يمكن أن تتأكد فى شخصيتهم النامية الاتجاهات الإيجابية فتزيد خبراتهم وتجاربهم وتثرى معارفهم المتنوعة وتتوفر لديهم أساليب فنية وصور وأخيلة وعواطف وأفكار تشوقهم وتمتعهم ، وتحثهم على كل ما هو فاضل ونبيل وإيجابى ، وتحقق لهم فى إطار هذا كله التوازن النفسى والاستقرار العاطفى والازدهار العقلى وتوسع من مداركهم والأفق الذى تتحرك فيه أخيلتهم ، مع الأخذ بهذه الأخيلة لتكون صافية نقية قريبة من الخيال العاقل الرشيد والممتع الجميل محققة بذلك تنمية الشخصية وإثراءها بالخبرة ومدها بالرؤية والتجربة . وأثر هذا كله على التعليم والتلقى وهما ركنان أساسيان فى شخصية الطفولة الممتدة حتى سن الشباب . وقد دعم هذا كله إصدارات إبداعية تتخصص فى علوم الطفولة ودراساتها وآدابها بدءا من « رفاعة الطهطاوى » وأناشيده ، « وعثمان جلال » وترجمته لكتاب « العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ » ثم الشاعر « الهراوى وأعماله الشعرية الدينية « وسليمان العيسى » ودواوينه الشعرية ، والدكتور أحمد عيسى وكتابه « الترقيص أو غناء العرب لأطفالهم » لم يحرم الطفل – إذن – من أدب غنائى يسعده فى مهده ويدخل السرور إلى نفسه وهو صبى ، ويفتح أمامه مسالك الحياة ، ويوسع آفاق خياله ويساعده على الإدراك السليم ، وهو على عتبات الشباب وذلك فى أى يوم من الأيام التى كانت فيها الطفولة والأمومة ...

وإذا كانت الإنسانية فى أفقها الأوسع قد شهدت ميلاد أدب الطفل بين أحضان الأمهات ، فإن العرب فى تاريخهم الجاهلى قد أبدعوا تلقائيا أغانى المهد ومرقصاته ، وكانوا بهذه الأغنيات أو المرقصات أكثر وعيا بواقع الطفل ، وحياته النفسية . وبأثر من ترقيص الأمهات والآباء العرب لأطفالهم والغناء لهم خلال الترقيص ، قد أكسبوا أطفالهم صحة نفسية ، وحققوا لهم التوازن النفسى والعاطفى وذلك فى أوقات متفاوتة مما يخفف عنهم ويسليهم ويبهجهم ويقوى فيهم حس الانتماء إلى الأسرة . ومن ثم إلى القيم . حينما تنيم الطفل أمه ... فإنها – حينئذ – تغنى له وتهزه بحنو وترقصه بإيقاع . فتسلب منه يقظته لينساب إليه النوم فى لطف ووداعة وهدوء .. مما يجعل نومه لذيذا ومفعما بالهدوء والسكينة ، فيساعد كل ذلك على تهيئة الأجواء لنموه نموا صحيحا سليما خاليا من عقد الاغتراب وانفصام الشخصية ... فهذه المرحلة الأولى من مراحل نشأة أدب عربى للطفل كانت تعتمد على عفوية الأمومة ، وموهبة الأب

فى صوغ الألفاظ والكلمات ، وذلك بإبداع أدب غنائى مجهول النسب ، على غرار الأدب الشعبى . بل إن هذا الأدب الغنائى أصبح الآن جزءا من التراث الشعبى الذى هو فى الحقيقة من أعمال الفطرة كما إنه لم يحرم هذا الطفل من مشاركة الكبار فى أدبهم واحتواء أدب الكبار الصادر عبر قرون الإبداع الشعبى لحضارات القديمة على نماذج أدبية رائعة تخاطب الطفل بشكل أو بآخر . ولم يحرم الطفل خلال عصور التقدم والازدهار الحديثة من وجود المبدع الذى تخصص فى إبداع أدب الطفل ، أو الدارس المتخصص فى عالمه ... والمستقبل يبشر باهتمام أكثر ، وقدر من التخصص أكبر يتوجه إلى الطفل وعالمه الأدبى والنفسى والاجتماعى .

ثانيا – الكتاب فى إطار أدب الطفل

تعرفنا فى الصفحات القليلة الماضية على طبيعة النص ، وخصائص الفن الأدبى الذى يمكن أن تفرزه المراحل البدائية والتراثية من تاريخ البشرية وعرفنا أن الأغنية الإيقاعية هى التى نبتت مع ميلاد الأمومة ، ثم كان التراث الإنسانى صالحا فى توجهاته لتقديم مادة متنوعة لإثراء الشعر والقصة والحكاية والمسرح ، أو ما يمكن اعتباره « أدب الطفل » . وفى مرحلة متقدمة جدا كان الكتاب الذى يمثل خصائص الطفولة ، ويعكس فى معناه ومبناه وتصاميمه وموضوعاته ما يتفق وعالم الطفولة .. ويحمل خصائص لطفل ومطالبه واحتياجته الفنية والفكرية . ويمكن تصور ما يجب أن يكون عيه كتاب الطفل فى أنه كتاب مصمم تصميما فنيا يشد انتباه الطفل بغلافه وحجمه وموضوعاته وإخراجه بشكل ينقل الطفل – عندما يتعامل معه – إلى جو من المتعة الفنية والحس الجمالى فيظل مشدودا إلى صفحاته الواحدة تلو الأخرى وذلك بما تحمله من رسوم وأشكال وأفكار ومغامرات تغمرنا بالمتعة والمعرفة ويفيض بالرؤى والخيالات والصور الفنية بعذوبتها ورقتها وجمالها وأسرها . ويمكن النظر إلى كتاب الطفل من النواحى التالية :

(أ) نشأته وتطور وظيفته :

يمكن اعتبار الكتب التى تتحدث عن الأبطال وتبرز السير الشعبية وتحكى الأساطير والحكايات الملونة بالخيال المجنح ، وتسرد الوقائع الشعبية ، من أهم الكتب التى يحبها الأطفال ويميلون إلى اقتنائها وامتلاكها بالشراء أو الاستعارة . ومعظم هذه الكتب ، كانت موجهة للكبار .. ولكنها بحكم مضمونها راقت القراء الصغار ..

ويعتبر كتاب « تشارلز ديكنز » عن تاريخ انجلترا والموجه للأطفال الإنجليز فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر من الكتب الأولى التى ظهرت فى تاريخ أدب الأطفال فى العالم كله ثم يتوالى ظهور كتب : « هانز أندرسون » الدنمركى بأدبها الرائع حول الطفولة وإبداعاته وقصصه الموجهة للأطفال ثم « جين راسكين [١٨١٩-١٩٠٠] » ورواياته التى يحملها كتابه : « ملك النهر الذهبى » وهى موجهة للطفل وتحمله إلى عالم غنى بالدلالات ومفعم بالخبرة والتجربة والذى يكون الخير عمله ، والطيبة ومساعدة الآخرين من معالمه ، ثم ظهر كتاب : « أليس فى بلاد العجائب » وهو من الأعمال الروائية لكاتب أدب الطفل الرائد : « لويس كارول » . ومع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، أخذت الكتب المخصصة لأدب الطفل تغمر الأسواق ، وفى الوقت نفسه انتشرت دور النشر المتخصصة . ووجد اهتمام عالمى بكتاب الطفل وأدبه وكان أبرز ماساد هذا الاهتمام هو الارتفاع بمستوى الكتاب فنيا ومعرفيا وفكريا وأدبيا وثقافيا .. حيث التأثير المباشر على عقلية البنية الأساسية للمجتمعات البشرية وقد تنوعت لذلك كتب الأطفال وحدث اهتمام بأدبهم لاعتبارات كثيرة فى مقدمتها اكتشاف العالم من حول الطفل ، ومده بخبرات وتجارب يستطيع بها معايشة من حوله وتغذية معارفه بما يمد إلى آفاق أوسع ويمكن اعتبار بعض كتب التراث العربى بعد تدوينها وطبعها من أولى الكتب التى يمكن أن نطلق عليها كتب أدب الأطفال مثل كتاب « كليلة ودمنة » ومقامات الحريرى وبديع الزمان « وألف ليلة وليلة » لمبدعها الشعبى المجهول ، وقد حملت السنوات الأخيرة إنتاجا يمثل رواجًا لكتاب الطفل فى العالم كله وفى عالمنا العربى ومصر بخاصة ، وذلك بعد أن شهدت هذه السنوات نتاجًا رائعا سواء على المستوى الفنى أو العلمى الذى يحمله كتاب الطفل وبأثر من مراحل الترجمة والتأليف والإبداع ، وكنتيجة للتقدم العلمى والتقنيات الحديثة : واهتمام المجتمعات وأنظمة الحكم بدورها فى هذا المجال ومحاولة أن تؤكد هذه الأنظمة على ولائها للحضارة والثقافة و لتخطيط الاجتماعى القويم كان اهتمامها بكتاب الطفل وأدبه .. ويعتبر الوطن العربى فى مقدمة الكيانات العالمية التى اهتمت بكتاب الطفل لكن مصر والعراق ولبنان وتونس والجزائر والمغرب وسوريا والسودان من أكثر بلدان هذا الوطن إنتاجًا لكتاب الطفل . وفى مصر توجد مكتبة كامل الكيلانى . وهى من أهم دور نشر كتاب الطفل بعد الحرب

الثانية ، ثم دار المعارف ودار الفتى العربى ، وإلى جانب الاهتمام بالكتاب الموجه للطفل كان الاهتمام بمجلات الأطفال والصغار ومن هم على عتبات الشباب .

(ب) أبرز من ألف كتب الأطفال :

هنالك أسماء شهيرة فى عالم الكتابة للطفل وتأليف كتبه .. وفى مقدمة هذه الأسماء – تاريخيا – مترجمو ومؤلفو ومبدعو كتب « كليلة ودمنة » و« المقامات » و« ألف ليلة وليلة » و « السير الشعبية والعربية » .. ثم « جاليفر » و« روبنسون كروزو » و« واشنجتن ارفنج » الأمريكى .. و« والتر سكوت » و« وليم ثاكرى » و« تشارلز ديكنز » الإنجليزى و« هانزاندرسون » الدنمركى : المشهود له بالروائع و« جين راسكين » : المعروف بحبه للأطفال و« لويس كارول » وفى الوطن العربى حديثًا كامل الكيلانى و« محمد سعيد العريان » وأحمد نجيب وعصمت والى ، وعبد التواب يوسف ، وسليمان العيسى ، وزكريا تامر وعادل أبو شنب ، وفاروق سلوم ، وشريف الراسى ، وجعفر صادق ، وعوض حاج حامد ، ويزيد عدد ما قد انتج وألف فى مجال كتاب الطفل ليصل لأكثر من ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف كتاب بمصر ، ١٥٠٠ كتاب بلبنان و١٠٠٠ كتاب بالعراق ، ٥٠٠ كتاب بالسودان و٤٠٠ كتاب بسوريا و٣٠٠ كتاب بتونس و٢٠٠ كتاب بالجزائر و٢٥٠ كتابا بالمغرب فضلا عن المترجم فى هذا الميدان ، ميدان التأليف والأبداع لكتاب وأدب الطفل العربى(١) ويمكن تلخيص المجالات التى تؤلف فى موضوعات كتب الأطفال وتعالج قضايا هامة فى مجالين :

الأول : مجالات العلوم ، والمعارف ، والثقافات العامة وتكون على النحو التالى :

١ – **العلوم الاجتماعية** وتكون موضوعاتها فى النشاط الاجتماعى ، وتعريف الطفل بخصائص وحقائق مجتمعه ، الذى ينتمى إليه ، ويرتبط بالحياة فى سبيل رفاهيته .

٢ – **العلوم العامة وموضوعاتها** تطبيقية وتكون فى ظواهر الكون وفيما يتصل بالإنسان والحيوان والطيور، وتجميع الكثير من الحقائق الكونية. تحقيقا لنوع من الثقافة العلمية.

٣ – **الزراعة** وتكون فى موضوعات النبات وأمور الفلاحة . والبستنة ، وتنمية الذوق الجمالى . وتحويل المساحات الجرداء ، إلى خضراء ، وتنمية هواية تنسيق الزهور .

---

(١) يمكن الرجوع إلى البحث المنشور بمجلة عالم الكتب للأستاذ عبد التواب يوسف عدد خاص بالأطفال ص ٧ .

٤ – **الفنون العامة** ، وهى تتصل بالموسيقا والفنون التشكيلية ، والرسم والنحت وتكوين قدرة إبداعية لدى الأطفال ، وذلك عن طريق تنمية ومتابعة مهاراتهم الفنية .

٥ – **الرحلات** ، وهى ألوان من القصص تدور حول الجغرافيا ومعارف عن البلاد والقارات ، وموضوعات : اعرف بلدك وتنشيط مفاهيم الأطفال عن السياحة الداخلية .

٦ – **الطب والصحة العامة** ، وهى معارف ووسائل للوقاية وموضوعات تتصل بالقدرة على ممارسة الحياة فى صحة وسعادة ، وتنمية المسئوليات الاجتماعية لدى الأطفال وذلك عن طريق مفاهيم وتطبيقات الصحة للجميع ، الصحة تاج على رءوس الأصحاء .

٧ – **الدين والتربية الدينية** ، والتاريخ والتراجم ، وكلها موضوعات تتصل ببناء الشخصية روحيا وثقافيا وتنظيميًا ونفسيا . وتقديم مفاهيم صحيحة عن هذا كله .

٨ – **الصناعات** ، وموضوعاتها تتصل بمعارف طرق الصناعة والاختراع والابتكار والتغلب على المشكلات ، وتنمية الهوايات ، وإنتاج أنواع من الاحتياجات المنزلية ، والشخصية .

٩ – **الرياضة البدنية** وموضوعاتها تتصل بألوان النشاط الذى يمارسه الجسم البشرى والتجمعات الإنسانية وجماعات الشباب والأولاد ، وتكوين الجسم الصحيح ذى العقل السليم ، وتكوين نوادى الأطفال .

١٠ – **الرياضة العقلية** وهى الموضوعات المتصلة بالتسلية ورياضة العقل بالتفكير واستخدام وسائل حلول المشكلات وفى هذه المجالات بموضوعاتها المختلفة قد تنوعت كتب الأطفال وحفلت بالاهتمام الفنى وأصبحت ممتعة بما تقدمه من معرفة فى إطار الشكل الزخرفى والصورة والرسوم الجميلة والأغلفة الأنيقة ووسائل الإيضاح التى تشد إليها اهتمام الأطفال ، ونشر الأشكال الهندسية والمعمارية وألعاب (الكومبيوتر) والكلمات المتقاطعة والأرقام المتوالية .

الثانى : مجالات فنون القول واللسان وإبداع الوجدان :

١ – **المسرحيات** : وتقوم على الحوار . وتعالج موضوعاتها شتى أمور الحياة والإنسان والتاريخ والمجتمع ، وتجمع بين المتعة ، والمعرفة ، وتحقق للطفل أهداف التربية .

٢ – **القصص** : وتقوم على الحكى وتعالج موضوعات تهم الطفولة وتقدم رؤية إنسانية أو اجتماعية أو نفسية أو تاريخية . وتستطيع أشكالها الفنية مخاطبة الطفل .

٣ – **الأساطير** : وتقوم على الخيال المجنح وتطوف موضوعاتها فى أفق أوسع من آفاق التاريخ ، وصراع الإنسان مع قوى الخير والشر ، كما تعمل تلك الموضوعات على تفسير الظواهر الكونية والإنسانية والشعبية . وتقديم متعة تلقى المعارف الغريبة .

٤ – **الخرافة** : وتقوم على سرد وقائع خيالية وتطوف موضوعاتها حول المعتقدات والتقاليد . وتمثل موضوعاتها الثقافة الأصيلة للشعوب .. حيث لكل شعب خرافاته . وتساعد الأطفال على تكوين عالمهم الخيالى وتطوف بهم معالم مجهولة فتزيدهم رغبة فى الاكتشاف وتنمى فيهم التطلع نحو المستقبل .

٥ – **الأغانى والأناشيد** : وموضوعاتها تمجد الأوطان والقيم والفضائل وتنمى فى الأطفال حب الحياة والتمتع بكل ما فيها من جمال وتحث على العطاء والفداء .

٦ – **بطولات وسير وتراجم** ، وهى تقوم على السرد والوصف والحكى وتهتم موضوعاتها بالبطولات وسير الرواد العظام .

٧ – **الشعر** : وهو جمل موسقة تتضمن معانى جميلة تتميز بالسهولة واليسر ، ويتغنى الشعر بموضوعات وطنية وقومية ودينية وبالعظماء والمصلحين وبالطبيعة والحياة .

٨ – **أدب وصفى** : ويقوم على توظيف التشكيلات اللغوية الجميلة التى تجرى على الورق فى سهولة ووضوح وبخط جميل ومضبوطة كلماته ، وموضوعاته تتناول الطبيعة والرحلات لاجتماعية والتهانى والوجدانيات .

٩ – **الأدب الصحفى** : وهو لون من الكتابة الفنية التى تعالج موضوعات تهم الطفل الجديد الذى يطل من نافذة الحرية والديمقراطية والانفتاح على الثقافات .

١٠ – **الكتابة الدرامية** : وهى كتابة تهتم بالصراع وإبراز عوامل التطور والتغيير .

ويلاحظ على مجالات كتب الأدب أنها شكل من أشكال القص أو الحوار ، أو السرد أو الحكى وهى لا تستهدف المعرفة مباشرة بل تهتم بالتذوق ، وتدريب المتلقى على تتبع مواطن الجمال ، وتعمل على تكثيف الثقافة .. وهذه الألوان الفنية بكلماتها الموحية ، وإيقاعاتها الموسيقية ، وكثافتها العاطفية ، تعمل على ترقية الذوق وإثراء الوجدان وتطوير الرؤية ، وتحريرها من النقائص ، والتأكيد على القيم والفضائل والتوجهات الإيجابية . وهذه الكتابات الإبداعية فى أفقها الأوسع تعمل على ترك الانطباعات الإنسانية والجمالية وتثرى المتلقى بالمشاعر والعواطف مما يكون له الأثر الطيب على نزوع المتلقى وتربيته تربية جمالية واجتماعية وإنسانية . وسواء أكان الكتاب فى مجال العلوم والمعرفة

أم كان فى مجال الأدب – فإنه مع المستقبل يمكن أن يكون فى إخراجه ومن خلال دور نشر متخصصة صورة لكتاب مدرسى ، يقترب فى شكله وموضوعاته ومجالاته من كتب الأطفال بشكلها الجميل الجذاب ومضمونها القصصى والمسرحى والتاريخى بحيث يمكن تقديم مادة دراسية وعلمية فى شكل ومضمون يرضى عنه أطفال المرحلة الأولى ، وتلاميذ المدرسة الممتدة حتى عتبات الشباب أو التعليم الثانوى .. وامتزاج الكتاب المدرسى التقليدى بالكتاب النموذج المتعامل مع عالم الطفل والذى يلقى اهتماما وانتباها من الطفل ، وذلك بهدف إخراج كتاب واحد يتعامل مع الطفل ليحقق له المتعة العاطفية والروحية والفنية والثقافية ويقدم له الخبرة والمعرفة والمعلومة .. من ثم يمكن عرض المنهج المدرسى فى شكل قصصى أو روائى أو مسرحة المواد المدرسية والتاريخية ، كما يمكن إذابة شكل الكتاب المدرسى التقليدى فى قالب كتاب يستهدف انتباه الطفل وذوقه وميوله واستعداده حتى يصبح الخلط بين الشكل والمضمون ، يأتى من أن كتب الجغرافيا تصبح أدب رحلات ، والمواد التاريخية تصاغ فى شكل قصصى أو مسرحى كما أن الروايات العلمية تحتوى على قدر كبير من المواد العلمية ، أى أن كتب الأطفال كثيرًا ما تمزج بين الأمرين ، محاولة من جانب الكتاب المدرسى للاقتراب شكلا ومضمونا من كتب الأطفال والعكس صحيح بالنسبة لكتب المعرفة والمعلومات .؛ إذ إن إلغاء الكتاب المدرسى المقرر سيجعل من الضرورى وضع هذه الكتب بين أيدى الأطفال كمراجع للبحث والدراسة والتحصيل . فالدور الذى يجب أن ينهض به المشتغلون بكتاب الطفل وما يتضمنه من أدب وفن وتمثيل ، والكتاب المدرسى وما يحتويه من معرفة ، ومعلومات مقصودة لذاتها هو أنه ينبغى توحيد الكتابين فى كتاب واحد ، يستهدف القيمة العلمية ، بتأثيراتها الفنية والأدبية . حتى إننا نستطيع بمثل هذا الكتاب الموحد أن نقص المنهج وأن نمسرح موضوعاته ، عن طريق الحوار والبناء الفنى .

(جـ) كتب الطفل بين الترجمة والتأليف :

وكتاب الطفل ، لأنه يتعامل مع بصره وحواسه ، ووجدانه ، وعقله .. ولأنه كتاب مصور ، أى أنه أعمال فنية متكاملة ، لذلك كان الاهتمام به وبإخراجه جديرًا بأن يكون من ضمن مطبوعات عالم الطفولة ، وخضوعًا لهذه القاعدة بالنسبة لكتب الأطفال ، ولأن نهضتنا الأدبية قد مرت بمراحل الترجمة والتعريب والنقل والاقتباس .. فإن كتب الأطفال قد مرت هى الأخرى باعتبارها نتاج الأدب الحديث بمرحلة الترجمة فى معناه ومبناها ،

أى فى الموضوعات التى تتناولها ، وفى الرسوم والأشكال والصور والأغلفة التى تخرج وتصدر بها .. وفى مرحلة اليقظة والإفاقة والاستفادة من البداية العالمية والريادة الغربية لأدب الأطفال ، كان لابد من ترجمة « أمهات الكتب » فى مجال « أدب الطفل » حتى يمكن تأسيس نهضة حقيقية فى هذا المجال .. مستندة إلى ترجمة هذا التراث الذى يشكل المعالم المضيئة فى تاريخ إبداع أدب الأطفال . من ذلك كتب « روبنسون كروزو » « رحلات جليفر » . وقد نشرتها مكتبة كامل الكيلانى وقصة « كارلو كولد » وتدور حول عروس خشبية ، تقوم بأعمال خارقة ومغامرات كثيرة ، ومن خلالها يمكن الاقتراب من عالم الطفل الحقيقى ، وقد ترجمت إلى اللغة العربية . وقد وضعت بذلك قاعدة التأليف على أساس من الخيال الرحب والمغامرات المثيرة لتكشف عن قدرات الطفولة ، ثم بدأت القفزة الهائلة على يد كل من كامل الكيلانى وسعيد العريان خلال الأربعينيات ، لتنشط حركة التأليف فى أدب الأطفال حتى أصبح الجو مهيئا لإمكانية وجود مؤسسات للنشر . والعام العربى الآن فى طليعة هذا المجال . وقد ترجمت كتبه فى أدب الأطفال إلى لغات العالم ، وهكذا نجد أن أدب الطفل قد أنضجته مراحل الترجمة والتعريب والاقتباس ثم الإبداع والتأصيل والتأليف .

(د) كتب الأطفال والموضوع المناسب :

من أهم ما تتميز به موضوعات كتب الأطفال أنها تقوم على البساطة والصدق والإخلاص فى تناولها .. وإن هذه الموضوعات تتسم فى كل مرحلة من مراحل الطفولة بسمات تجعلها أقرب إلى خصوصيات الطفل وطبيعة شخصيته ومقومات عالمه ذى الخصوصية الشديدة .. وهذه السمات لا نكتفى منها بالإقبال والاهتمام فقط من جانب الأطفال ولا نكتفى بأن نداعبهم ، ونستثيرهم ونستميلهم ، ونستجيب لرغباتهم .. وإنما –فوق هذا كله – نكشف عن قدراتهم وفروقهم الفردية ونعمق حقائق الطفولة فيهم .. حيث تجارب الأطفال ، مع عالم الخيال والمغامرة والانبهار بالخرافة والأساطير ، فى مرحلة يحاول فيها الإنسان أن يضع رجله على سطح الأرض ، ويؤكد فيها أن للأطفال خصوصياتهم ، مهما تقدمت الحقائق والمعارف ، ولهذا كان من أهم ما يشغل بال المؤلفين لكتب الأطفال ، أن يرتادوا دائما هذه العوالم العجيبة ، ليحققوا المتعة ورحابة الخيال لدى أطفالنا ، لكن بشرط المزج بين الحقائق والخيالات ، بما يبقى على العلاقة بين

التخييل والواقع ، وذلك فى صالح تنمية قدرة التخيل لتغيير الواقع نحو الأفضل ، والأخذ بيد الحياة نحو الأجمل . وهذا بدوره يحقق لنا فى أطفالنا الأمل فى أن يكونوا – مع القادم الواعد – قادة ومصلحين ، وزعماء طيبين وإيجابيين فى سبيل أمتهم ومجتمعهم وأوطانهم ودينهم والقيم والفضائل التى يرى المجتمع بثها والتأكيد عليها ، إشاعتها بين أفراد المجتمع .

وهكذا تصبح لموضوعات المغامرة . جاذبيتها ، وللرحلات وقصص البطولات والأعمال الرائعة ، والشجاعة الفائقة أهميتها ، ولموضوعات الأسرة والعائلة والشخصية سحرها وشدها لانتباه الأبناء والأطفال .

(هـ) كتاب الطفل وأدب البوليسيات والثقافات الغازية :

مهما كان التطور فى كتاب الطفل ؛ ومضمونه الأدبى والمعرفى ، فإنه فى خدمة الثقافة الوطنية والقومية ويتوجه بهذا كله لتكوين الشخصية العربية والمصرية .. وأمام هذه الحقيقة تتحول الثقافات الوافدة إلى مجموعة من الأفكار والتقاليد والسلوكيات التى ينبغى أن تصفى وتعرض على كنترول الرقابة لنأخذ منها ما يدعم ثقافتنا وشخصيتنا ، وهذا خيار تفرضه الحضارة والثقافة والشخصية ، وهو خيار مرتبط بالدين وبموروث أمتنا العربية .. وهذا يجعلنا أمام المطروح من أدب الجريمة والأدب البوليسى ولمسلسلات والثقافات الزاحفة دون رقابة أو موقف يختار أفضلها ، وهذا ما تشهده سنوات الانفتاح على الغرب فى السبعينيات والثمانينيات ، ويستهدف شرخ الشخصية المصرية والقومية عن طريق تقديم مادة ثقافية تؤثر بالسلب على أطفالنا ، والمتعاملين معها من شبابنا . وهذا ما يؤكده المطروح على أرفف المكتبات وخلال المجلات ، وما يقدم لأطفالنا وشبابنا من قبل المؤسسات التجارية من اللوحات المصورة ، والبرامج التلفزيونية وما يدرس بمدارس اللغات من روايات وقصص وما يغمر الأسواق من بوليسيات وأدب الجريمة .. كل هذا يشكل جريمة ضد مجتمعنا والجسم الاجتماعى لأمتنا ؛ لأنه يتسلل إلى أطفالنا عن طريق الكتاب الذى ينتشر فى طبعات رخيصة ويحمل مضمونا رخيصا ، ويغذى فى أطفالنا وشبابنا الميل إلى العنف والعدوانية والتحلل ويرضى غرائز الأطفال ورغباتهم المطلقة .. وإن المتتبع المنصف لحياتنا الثقافية والفنية لا يستطيع إلا أن يشهد بأن كتبا جميلة الشكل ورخيصة المحتوى ، تتسلل لصالح ثقافات وافدة ، تؤدى أحيانا دور الغزوة المدمرة ، أو الهجمة الشرسة ؛ لأنها تستهدف خيرة أطفالنا الذين هم فى الحقيقة صلب مستقبلنا ..

غير أن الأمر لا يخلو من غفلة تنتابنا – أحيانا – ولن تخلو من مزالق وحساسيات ، إن بعض الناشرين أو المبدعين ، أو القائمين على أمر أدب الطفل ، لهم صلات بشكل أو بآخر بجهات تخطط ضد تقدمنا ، وتقوم المصالح المشتركة بين هؤلاء وهؤلاء بممارسة الضغط هنا أو هناك دون الدفاع عن ثقافتنا الوطنية والقومية التى ينبغى أن يتضمنها كتاب يكون بانتمائه القومى والوطنى والدينى رادعا لتلك الثقافات .

وحسن عرض الأفكار يتطلب كل الجهود المخلصة وتساند مشاعر وعواطف صادقة تفرزها الشخصية القومية والوطنية والدينية القابعة فى أعماق كل الأجهزة المسئولة بعامة والناشرين والممولين بخاصة .

وإزاء هذا فنحن أمام كتابين : **كتاب ينشر أدب الطفل** ، وهو ما اتفقت عليه الأسس النفسية والاجتماعية ، ومراحل النمو لدى الباحثين النفسيين ، وتتفق عليه المؤسسات العالمية ، ودور النشر فى العالم كله ، والتى تتخصص فى نشر أدب الأطفال ، **وكتاب ينشر البوليسيات** ، وسلاسل « الشياطين » ، « وسوبرمان » ، و« الوطواط » ، وهذه ليست من أدب الأطفال . والعالم كله يخرج الروايات البوليسية من دائرة الأدب ؛ لأنها ترضى الغرائز ولاتستهدف الاحتياجات الضرورية للأطفال .. كما أن هذه الكتب – وهى ليست من أدب الطفل فى شىء – لاتهتم بالفن والأسلوب والموضوع ، وإنما تستهدف الإثارة ، وتعويد الأطفال عادات بوليسية خلال احتكاكهم الاجتماعى . وتمنعهم من التفكير العقلانى الإيجابى المقدور .. كما أن الطفل لا يحقق من قراءتها إضافة لمعارفه .. بل يظل مشغولا بتتبع الحوادث وملاحقتها دون اهتمام بما ينبث خلالها من معلومات . والضمير العالمى يقف ضد هذه الألوان من كتب أدب الطفل والبوليس وأدب الجريمة موقفا متشددا ، تظهره تقارير الأمم المتحدة ، التى ترى أنها تسبب للأطفال قلقا واضطرابا وتوترا نفسيا واجتماعيا ، فالأمم المتحدة ، وتقرير « فيبب بوشار » ، وكل دساتير العالم فى الكتابة للأطفال تحرم هذه الكتابات ، وحوادث الاختطاف بخاصة ، مثل سلسلة الألغاز : « الطفل المخطوف » ، و« الأمير المخطوف » ، كما تحرم سلسلة التهديد الذى يخل بأمن الطفل وطمأنينته ، مثل ما ينشر فى « الرسائل الغامضة » ، والتى قلدها أحد الأطفال بمحافظات الوجه البحرى ، وقد اعترف بأنه تعلمها من سلسلة : « الرسائل الغامضة » . إذن نحن ومعنا العالم كله يفرق بين نوعين من الأدب : **أدب يقدم للأطفال** ، وقوامه احتياجات الطفل ، كما توضحها دراسات الطفولة ، وعلم نفس النمو ، وأدب الجريمة ، والأدب البوليسى

وكتب المسلسلات مثل : « سلسلة المغامرات » و« سلسلة الوطواط » . إلخ والألغاز المخربة لضميره وسلوكه ، والتى لا تستهدف غير الربح على حساب الثقافة والشخصية الوطنيتين ، وتقضى على ثقافة المجتمع المنبعثة من ضميره القومى والدينى ، لهذا كله فإن مراكز ثقافة الطفل وأدبه فى العلم تفرق بين النوعين تحقيقا للتأكيد على أدب الطفل ونفيا لأدب الجريمة والألغاز والبوليسيات .

(و) فى خصوصيات كتاب « أدب الطفل » :

١ – كتاب « أدبيات الطفل » يتميز بخصوصيات الشكل والمضمون والتوجهات فهو فى شكله صياغة فنية بسيطة ينطلق فيها الطفل إلى عالمه الأدبى والوقوف على ما تحقق من تقدم فى مجال الصناعات الفنية والتكنولوجيا وعبقرية الإخراج والألوان ، وقوة المزج والتوظيف اللونى والكمى والزخرفى ، انطلاقا من هذا كله إلى عالم الطفولة الفنى والجمالى والابداعى ، والكتاب – حينئذ – خاضع لتطوير وتحديث مستمرين تحقيقا لشكل يتفق وما أحرزه المجتمع من تطور فى كل مناحى الحياة ليصبح كل ما يتعامل معه الطفل جزءا من هذا التطوير الاجتماعى المستمر تأكيدا على التلاحم العضوى بين الطفل وعالمه ، والمتغيرات التى تنصهر فى بوتقتها الحياة بكل وثباتها نحو الغد القادم .. والكتاب فى شكله وإخراجه ، ومنهج عرضه ، ووسائله البصرية يعكس الثراء الذى يميز عالم الطفل ، والسمات الفطرية التى تطبع خصوصياته الفنية واللونية والكمية .. من ثم يصبح الشكل مظهرا للتطور الثقافى والتربوى والفنى والمعرفى لعالم الطفل ويؤرخ للذوق الفطرى وتطوره ، وتشكله ضمن سياق التطور العام للثقافة الاجتماعية ، والتفاعلات الإيجابية بين ذوق الآباء ، وذوق الأبناء ، وخصوصيات الأجيال والطبقات الاجتماعية . والنوعيات العرقية والجنسية والذكورة والأنوثة .

٢ – وحتى يتنامى هذا يمكن تقسيم العمل الفنى والأدبى إلى وحدات إبداعية ... وتكثر هذه الوحدات وتقل تبعا لمرحلة النمو ومدى قربها أو بعدها عن مرحلة طفل المهد ، حيث الكثرة فى الوحدات تكون للطفولة الباكرة ؛ تيسيرا وتبسيطا .

وتقل إلى أن تصل إلى وحدة واحدة أو وحدتين مع عتبات الشباب ، وأن ترتبط وحدات الإبداع بالبيئة والحياة بكل مظاهرها داخل الأسرة وخارجها وفى إطار المجتمع كله والأمة فى أفقها الأوسع ، والإنسانية جمعاء ، وقيام تلك الوحدات على أبنية مفتوحة تترك لخيال الأطفال أن يحلق وأن يضيف ما يشاء من إضافات وأن يقدم حلولاً

لألوان القصص والحكايات ، وأن يصحب الكتاب مهارات ومعلومات فى شكل توجيهات إرشادية ، أو فى شكل دليل يسمح للمعلمين أو الآباء والأمهات.، وأحيانا الأطفال بأن يستفيدوا من المخطط التربوى الذى تتضمنه الأشكال الأدبية . فعملية الإبداع هى كشف صيغة جديدة نتعامل خلالها مع عالم الطفل كما أن الإبداع هضم وتمثل للماضى ، وإثارة نحو الحاضر وشوق إلى المستقبل وهى فى الوقت نفسه تمثل جوانب إنسانية ، وخبرات وجدانية وعقلية ، كما تعبر عن الثقافة الاجتماعية ، والوطنية والقومية . والمنهج التربوى الذى يتعامل مع الطفل ، ويساعد على تقديم تلك المادة الإبداعية ينبغى لذلك أن يتسم بالوعى الثقافى الفنى والنفسى ... فالشكل - إذن - جزء من عالم الطفل الأدبى ، وصيغة من صياغات ذوقه الفطرى ، ونافذة يطل منها على عالم الإبداع والابتكار والجماليات .

٣ - وتحقيقا لمادة أدبية تحمل لغة الطفولة ، وتتجاوب مع عالم الطفل فإنه ينبغى التأكيد على مبدأ التذوق الذاتى ، وتزويد الأطفال بالمواقف والخبرات التى تستثير خيالهم ، وتكثف عواطفهم وتلهب الحماس لديهم ، وذلك من خلال المادة الأدبية المصوغة صياغةفنية مناسبة ، وتحمل قدرًا كبيرًا من لغة الخطاب فى اتجاه الطفولة .. وأن ينشأ عن هذا كله مراعاة للواقع الثقافى والاجتماعى للأطفال .. حيث يختلف الأطفال بيئة : (ريفية ومدنية وأحياء بلدية وشعبية وأرستقراطية) ويختلفون نوعا : (الذكورة والأنوثة) واجتماعيا : (حيث الفقر والثراء والحرفة والمهنة والطبقة والثقافة السائدة) فهذه المادة الأدبية فوق ما تحمل من لغة الخطاب الموجه لعالم الطفولة ، فإنها تضيف خبرة جمالية غير مباشرة ، وتوفر قدرا من المعرفة التى تربط الطفل بمجتمعه الصغير والكبير وتجعله قادرا على التعامل مع ما يحيط به ، ومن يتعاملون معه ، وذلك فى إطار من طبيعة مرحلته ، كما أن هذه المادة الأدبية ليست بمعزل عن النشاط الإنسانى العام وتطوره ، لأنها تأخذ منه وتستمد صورها ولغتها ، ومواقفها من واقعه ولذلك فإن المادة الأدبية مطالبة بمسايرة هذا الركب الإنسانى وما يفرزه من حضارات وثقافات وأنشطة اجتماعية عامة .

٤ - وكتاب « أدبيات الطفل » يحقق توجهات تربوية أساسية فى عملية التعلم التربوى .. حيث وفرة الخبرات الإبداعية والابتكارية التى تعمل « أدبيات الطفل » على توفيرها وتقديمها فى شكل مواقف إيجابية ، وإشارات وجدانية مثيرة للخيال ، بحيث يمكن لهذا الكتاب بخصوصياته الأدبية الجمالية أن يقدم خبرات وتجارب ويحقق إشباعات عقلية ووجدانية ، ويعمق مفاهيم معنوية ، ويشبع الرغبات والحاجات وذلك عن طريق

ما يقدم من نماذج فنية وصور عاطفية وإنسانية ، وما يطرح من مشكلات اجتماعية وأسرية ، وما يظهرّ خلال ذلك كله من لغة موثقة وأساليب تفيض بالجمال وتتدفق بسيطة أخاذة موحية ومثيرة . ومثل هذا الكتاب الأدبى الذى يتعامل مع الأطفال قادر فى الوقت نفسه كى يكون أداة أساسية فى العملية التعليمية التى يمكن تقديمها للطفل المتعلم . بل مثل هذا الكتاب أقدر على تقديم روح المادة العلمية فى إطار المادة الأدبية وفى أشكالها المختلفة بدءا بالمقطوعة والنشيد ، وانتهاء بشكل القص والحكى بحيث يمكن المزج بين التذوق والفهم والاستيعاب ومثل هذه الإمكانات تنمو القدرات التذوقية والعقلية والإدراكية التى لا غنى عنها للمتعلم ، لتستكمل شخصيته القابلة للتعلم .

ويمكن بلورة التوجهات التربوية التى يمكن أن ينميها الشكل الأدبى مواده ذات الحضور الجمالى وذلك فيما يلى :

١ – تنمية الحساسية المنبهرة تجاه الجمال والقيم الرفيعة والتقاليد العريقة .

٢ – تنشيط الوجدان ، واستثارته للإحساس بكل ما يطرحه الغير من قضايا ومشكلات وما ينبت فى الطبيعة من مواطن للجمال .

٣ – تنمية الحساسية الرافضة ضد القبح والأخطاء والسلبيات .

٤ – تنمية الحدس والتصور وملكة الاستعداد الفطرى الصحيح .

٥ – تنمية القدرة الذهنية والوجدانية والحسية ، وذلك دعما لحسن التقدير ، وإصدار الأحكام الجمالية ، وسلامة النظرة النقدية القائمة على التذوق الفطرى السليم .

٦ – تنمية الخيال وتوظيف الحواس بما يعمق الحس تجاه اللغة والأشياء ومواطن الخلق والابتكار والإبداع .

٧ – تنمية القيم الروحية والقيم التربوية الصحيحة وتربية العادات الاجتماعية والاقتصادية والسلوكية بما يتفق ومطالب الجمال . وبما ينتظره الآباء والأمهات والمعلمون من استجابات .

٨ – استثارة الدوافع الداخلية للقيام بأنشطة عملية ووجدانية للتوصل إلى الإحساس بأن ما يقدمه الكتاب ، وما يحمل من صور فنية ، إنما هو فى خدمة الفن ، والجمال ، وتربية الذوق الفنى والجمالى لدى الطفل . وذلك بالتوافق والتوازن والرضى التام .

٩ – تنمية القدرة على تصور الكون المحيط ، والإحساس بالأشياء إحساسا شاملا ، والالتفات إلى الأشياء ، لا على أنها مجرد كائنات لكن على أنها أعمال فنية تتضمن وظيفتها وعلاقتها بغيرها .

١٠ – ويعمل « الكتاب الأدبى » فوق هذا على اعتبار الفن رؤية تاريخية لتطور الذوق والثقافة والحضارة ، كما يمثل تراثا ثقافيا وفنيا ، وتميز الإنسان على أنه كائن حى مميز عن غيره من الكائنات الأخرى ، والعمل على ترسيخ هذه القيم من خلال تلك الأشكال الأدبية فى عقل ووجدان وقلب الطفل ... وهكذا نجد لكتاب « أدب الأطفال » خصوصية تتجاوز به عن مجرد كونه كتابا فى لغة الأدب والأساليب الأدبية الجميلة ، إلى اعتباره ينبوعا للمعرفة ، وإثارة الخيال ، وتنمية الإحساس ، لكن أهم خصوصية يمكن أن يقدمها كتاب « أدب الطفل » هى إيجاد خصوصية قومية ووطنية لدى الأطفال ، إذ إننا من خلال « أدب الطفل » نستطيع أن نجعل أطفالنا يعيشون الماضى بقوة استعادة وتذكر لإيجابيات هذا الماضى وبشكل لا يكون هذا الماضى إلا مصدرا للإثراء والتجريب والخبرات التى تثرى الحاضر ، وتدفع إلى المستقبل . والحق إن إهمال الماضى فى نفوس أطفالنا يجعل مستوى الإبداع أكثر تسطيحا ، ولا يحمل تجربة عميقة تتصل بالمواطنين بعامة وبأطفالنا بخاصة ، يضاف إلى هذا اعتبار الماضى ينبوعا ثرا بالجمال الأدبى والحكمة الخبيرة .

والأشكال التعبيرية الجميلة أمثال القص والحكى والأمثال والأساطير والشعبيات .. لكننا سنجد فى اللغة وأساليبها اللفظية نمطا للتفاعل بين العلم والمتعلم من الأطفال ، وفى كل حالات التوسل بوسائل مادية وعلمية تكون اللغة بأحد مستوياتها اللفظية أو الفكرية أو الجمالية قادرة على إبراز الجوانب الإبداعية فى العمل المقدم ، وتكشف عن القدرات الإبداعية فى الطفل المتلقى ، وتساعد المبدع فى الوقت نفسه على بلورة الموقف الأدبى المراد توصيله .. وهنا يمكننا دراسة وسائل أخرى غير لفظية ، وخارجة عن إطار الكتاب .

ثالثا : التكنولوجيا وأدب الطفل :

إن من يرصد حركة التطور يقف على تغير كبير فى مسار الأشياء وذلك بأثر من تدخل « التكنولوجيات » كإنجاز بشرى معجز ، وكظاهرة من ظواهر الانعطاف بحركة التاريخ إلى مرحلة الاتصال والاستشعار والاستدعاء والاستقبال ، والذى من شأنه أن

يجعل العالم كله مجرد « قرية صغيرة » وهذا كله سيجعل الإنسان فاقدا للكثير من قدراته الإبداعية ، ولكى نتجنب هذا لابد من إشاعة الفنون والآداب وبالذات تلك التى تركها لنا الآباء والأجداد محملة بالعبق التاريخى ، وثرية بخبراتهم الفنية والجمالية والتقنية وتعرف الكثير من إبداعنا ، وتقديم ما أبدعوه خلال ممارستهم الفنية من فنون تشكيلية ، وزخرفية ومشغولات ومسبوكات إلى أطفالنا ... ومن ثم الاهتداء إلى علم التكنولوجيا على أنه موظف لإطلاق قوى الإبداع ، وكذلك التعرف على ماضينا السنى والجذور والجانب الثقافى والحضارى لمسيرة الحياة المصرية والعربية والإنسانية بعامة . والطفل هو الحياة القادمة ، ورمز استمرار الوجود الإنسانى ، وبقاء النوع البشرى ، ولا نشك أنه موضوع اهتمام الإنسان على مر العصور ، وإن غمضت علينا سمات هذا الاهتمام أو بدت قليلة أو غير ملائمة لأهمية الطفولة فى بعض الحقب الزمنية ، قياسا إلى ما نرى الآن من اهتمام ضخم بالطفولة ، وتسليط الأضواء على ذلك أشد التسليط حتى تلاشى أو كاد ، كل اهتمام قديم من أسلافنا أو غيرهم بذلك الأمر . ولا شك أن المشكلات التى تعانى البشرية منها اليوم – على ما أحرزت من تقدم ورقى فى كثير من جونب الحياة – تقف وراء الاهتمام بالطفولة ، وتوقع الآباء تحقق أحلامهم التى تعثرت على صخرات الواقع على أيدى أبنائهم ، إن هم أعدوهم الإعداد الجيد ، وغرسوا فى فوسهم منذ نعومة أظفارهم بذور الخير والتراحم ، وحببوا إليهم من العلم ما يجعلهم به يسعدون ويسعدون فى قابل أيامهم ، وبمجمل القول ، إن هم وفروا لهم فى طفولتهم ما لم يتوفر لهؤلاء الآباء فى طفولتهم ، مما به تسمو نفس الصغير ، فتبشر بشخصية سوية ، صحيحة الجسم والعقل ، غير فاسدة التوجه ، أو مريضة فى أخلاقها أو فى تفكيره .

ولما كنا اليوم فى رحاب عصر العلم : وجب أن نهتم بمعطياته ، فنوظفها التوظيف الصحيح فى جميع مجالات حياتنا . ومما هو غنى عن البيان أن من أهم المجالات وأكثرها حيوية القيام على أمر الطفولة ، والإعداد الجيد لأجيالها المتلاحقة ، لتكون قادرة على أن تنهض بما يوكل بها زمن الشباب والفتوة والكهولة . ولئن كان آباؤنا قد اهتموا بنا وربونا فى الكتاتيب ، واستقدموا لنا من يعلمنا فى البيت إلى آخر ما كان يتاح للطفل والصبى منذ مطلع هذا القرن ، وقبله ، من وسائل إطلاعه على الحياة والناس ، وربطه بهم ، وتقديم مفاتيح التعامل معهم إليه – لئن كان الأمر كذلك فإن من حق أطفالنا علينا – وهم نشء أمة لها من التراث العريق – أن تأخذ بأيديهم الأخذ الحثيث إلى هذا

العصر بتكنولوجياته ومنجزاته ، التى نأمل أن يكون أطفالنا – إن شاء الله – من منتجيها ، بحيث لا نستوردها كما نحن اليوم ، وربما لا يحق لنا التفكير فى إنتاج ما يكفينا منها ، حتى وإن استطعنا ذلك . ولست أعنى أن نصدم الطفل الغض الإهاب بما لا تحتمله طاقته وقدرته ، أو نصنع منه عالما فى المهد ، فما من عاقل يقول بهذا ، بل أن الطفل الذى يؤخذ من طفولته أخذا ، فلا يستمتع بلهوها ومرحها ، لا يكون ، فى الغالب ، عندما يشب إلا ضيق الصدر ، متعبًا غير سوى . لكنا نريده فى لعبه ولهوه ومرحه يرى جهاز الكمبيوتر « المصغر والمعد للطفل » يبصر على شاشته الآية القرآنية ، والكلمة الطيبة ، ويتعلم عن طريقه كيف يقرأويكتب ، ولا بأس أن يكون ذلك فى مكان فسيح مخضوضر معشب ، وفى جو بهيج ، وينطلق الطفل فى الفضاء الواسع لاهيا مع زملائه ، فى جماعية منظمة ، ليردد الجميع ما قرأوا وما سمعوا . فإذا ما تقدمت به السن نحو العاشرة يمكنه تعلم استخدام « الكمبيوتر » فيكتب باستخدامه ما يملى عليه ، أو يروح عن نفسه ، باللعب عن طريقه مع غيره . وللرحلة العلمية – والمراد ليس العلم بحدته وصرامته – والكشفية – دورهما الترويحى والتعليمى للطفل ، فعن طريقهما يكشف الطبيعة بإرشاد أساتذته ومعلميه ، ويقف على فوائد مظاهرها للأحياء والموجودات والإنسان ، وعن طريقهما ينغرس الانتماء إلى الوطن والتطلع لخدمته فى الأطفال ، وتتوثب داخلهم الرغبة فى الحياة الهادفة وتتوزع فى أخيلتهم الأحلام مع المستقبل الواعد فذاك يود أن يكون مهندسا كالذى رآه أمام الماكينة يرشد العمال ويوجههم ويصلح ما توقف من آلات الإنتاج داخل المصنع ، لتدور عجلاته مرة أخرى ، ترفع المياه ، أو تنسج المنسوجات ، أو تصف المعلبات ، وهذا يود أن يكون كهذا المعمارى الذى يصمم البناء فى المدينة الجديدة التى خرج طلاب المدرسة الصغار ليزوروها لقربها من مدرستهم ، وهذا يرغب أن يكون كهذا الضابط المقاتل الذى رآه يصول فى ميدان المعركة ، بعد أن قدمت له قصة عنها مصحوبة بعرض مشاهد متلفزة . أو بالفيديو ، أو أى من أجهزة العرض البصرى . وهذا يود أن يكون كهذا الأستاذ الذى رآه فى مدرج الكلية بالجامعة ، بعد أن رآه يحاور طلابه ويفصل لهم القول ، وكان ذلك ضمن زيارة لهذه الكلية ، نظمتها إحدى المدارس فى مرحلة التعليم الأساسى ، بعد أن تشوق الأطفال النابغون لرؤية الجامعة من الداخل . هذه بعض النماذج الطيبة العلمية والطبيعية التى يمكن أن نطلع عليها أطفالنا فى رحلاتهم التى تنظمها المدارس والمؤسسات الخادمة لهم ، من خلال

الرحلات التعليمية الترفيهية تلك ، وحبذا لو أعقب ذلك تعبير كل طفل عما رأى خلالها كتابة وشفاهة ورسم ما يمكن التعبير عنه .

ولئن كنا – فيما يبدو – خرجنا عما يقتضى الموقف الحديث فيه ، فإنا لسنا فى حقيقة الأمر بعيدين عنه ، وما كان الحديث السابق إلا لبيان ضرورة المزاوجة بين الإعداد المتقن للطفل والتسرية عنه وأخذه بالرفق والملاطفة ، وبث حب العلم والكشف فى نفسه الواعدة بطرق غير مباشرة ، وهو ليس فى رحلاته التى أشرنا إلى بعض من أنواعها إلا مرادًا له الاطلاع على تكنولوجيات العصر ، لا من أجل فهمها كل الفهم ، ولكن من أجل تحبيبه فيها ، وتخييره بين النماذج السوية التى ينبغى أن يسلك طريقها فى قابل أيامه . فإذا ما أضفنا إلى ذلك ما يمكن أن يعقب به الطفل على ما قد يرى من حسن أو قبح فى الموقع الذى كانت إليه زيارته ورحلته – ولا أظن أحدًا ينكر أن لبعض أذكياء الأطفال كلامًا لا يمكن أن يهمل – كان كل ما نكسبه من هذه الرحلات عظيما فى تنمية مدارك الطفل ، والوقوف على ما يسعده وما يسوء ، وما عن طريقه نستطيع معالجته أو تقديم الأشياء إليه بالطريقة الصحيحة . وليست الكتابة عن الرحلة ، أو الحديث عنها إلا أدبًا من الأدب ، لكن بمفهومه الواسع الذى لا يعنى النثر الفنى أو الشعر العمودى أو غيرهما وإنما يعنى تقويم لسان الطفل وإجادة تعبيره عن الفكرة فى حدود ما تسمح به مرحلته العمرية دون إفراط أو تفريط . ولا شك أنه عندما نفلح فى ذلك إنما نفلح فى ربط الطفل بثقافة قومه ، ونميل به عن غموض الشخصية وضياع الهوية ونضع قدميه على أول طريق الفكر الواضح وتسمية كل شىء باسمه . ويقتضى ذلك توفر مدرس جيد سليم اللغة ، ذى بصر بما يناسب الطفل وما يليق أن يراه وصاحب صبر على تطلعاته وتساؤلاته وإلحاحاته . وأظنني بذلك أثبت كيف تفيد الرحلة العلمية الترفيهية للطفل ، وتكوينه الأدبى بما يواكب ثقافة العصر ويحافظ على الهوية العربية الإسلامية لأكبادنا التى تمشى على الأرض ، كما قال شاعر العربية الشهير « ابن الرومى » فى بيت شهير . إننا بعد هذا الإسهاب الذى لم يكن منه بد ، نرانا محتاجين إلى بلورة حاجة طفلنا فى مدارسنا ، وفى المنتديات

وفى المؤسسات الخاصة برعايته ومراعاة شئونه – إلى توفير مادة أدبية ، قدر الاستطاعة للنهوض بالطفل أدبيا ، ولسنا فى حاجة إلى تكرار المواد بالأدب الذى نريد للطفل أن يجيده ، وإن كنا نأخذه بترديد وفهم بعض أبيات الشعر القديم والحديث الداعية إلى مكارم الأخلاق ، وفضائل الأعمال ، وحكيم الرأى وسديد النصح كهذه الأبيات :

** عن المـرء لا تسأل وأبصر قرينه   فإن القريـن بالمقـارن مقتـدى
** وما الحـرب إلا مـا علمتم وذقتم   ومـا هـو عنها بالحديث المرجـم
** إذا الشـعب يومًـا أراد الحيـاة   فلابـد أن يستجيـب القـدر
** وإنما الأمم الأخـلاق ما بقيـت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبـوا
** قد يبلـغ الشرف الفتى ورداؤه   خلق وجيب قميصـه مرقـوع
** لا يركنن أحـد إلى الإحجـام   يـوم الوغى متخوفـا لحمـام

تكتب لهم مثل هذه الأبيات وغيرها على لوحات بخطوط جميلة مونقة ، يرددونها بعد أن يقرأوها مع أساتذتهم ، ولا شك أن استجاباتهم لها ستتفاوت بين قبول وعدمه ، ولكن لا يمنع ذلك من أن نعرضها لهم ضمن ما نعرض من لوحات مقروءة تلفت انتباههم بجمالها وحسن إخراجها إلى جانب غيرها من المصورات الطبيعية والجغرافية التى يتحدث بمصاحبتها عن الوطن وتاريخه ، وتنشد له الأناشيد المحببة فيه وفى أبنائه مع استجلاء لجغرافيته المسطة على المصورات الحائطية التى يطلع الطفل من خلالها على موقع مدينته أو بلدته ، وحبذا لو كبر هذا الموقع ليشمل بعض التفاصيل ، وواضح أن ذلك كله يتم بالحوار والكلام مع الطفل ، مع رقى بلغته وتعبيره آنا بعد آن ، وتلك من مهمات الأدب . بعدئذ نخلص إلى تقرير الحاجة إلى ما يلى للنهوض بتلك المهمة من مهمات الأدب :

١ – أجهزة الكمبيوتر

المناسبة للطفل وفيما مضى غناء عن تكرار كيفية توظيفه بالنسبة له ومن أهم ما يفيد الأطفال ، أيضا اللعب والتكوينات التى تثير فيهم التفكير وقوة التوقع حيث تكون الأفكار والاستشعار والتوقع والترقب هدفا من تلك التكوينات ، التى يستطيع « الكمبيوتر » أن يكون أداة ناجحة لتحقيقها .

٢ – أشرطة الكاسيت

المسجل عليها ما يرقى بلغة الطفل ، وما يجعله قادرًا على النطق الصحيح وحفظ النصوص من القرآن الكريم والأناشيد ، وتعلم المحادثة ولا شك أن ما يناسب مرحلة عمرية

لا يناسب أخرى ، مما يقتضى تنوع هذه الآشرطة واختلافها حسب ذلك فتروى للطفل فى مرحلة مناسبة « الثامنة إلى العاشرة مثلا » قصص الخيال أو الأساطير ، ثم بعد ذلك يقدم له الخيال العلمى المناسب ، والقصة الدينية المصاحبة للآيات القرآنية الخاصة بها ، والحديث الشريف ، وبخاصة مايقوم السلوك ، ويدعو إلى الاتصاف بكل حسن والبعد عن كل قبح كقوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » . عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ... وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ... « ويتلو ذلك بعض القصص المتخيلة ، أو من واقع الحياة التى توضحه وتعضده » . ويمكن أن يضم الشريط تاريخًا موجزًا للوطن فى عبارات محدودة ، تكثر كلما تقدمت بالطفل السن .

٣ – جهاز الفيديو

والعرض على الشاشة « صغيرة أو كبيرة » . وعن طريقه تعرض مشاهد من الحياة وصور من الطبيعة ، ومن داخل الإنسان ، للتعريف بأجهزته وقدرة الله فى خلقه . ويستحسن عرض القصص الدالة على نبيى السلوك وجيد التصرف من خلاله ، كما يتعلم عن طريقه العادات الصحية ، والتصرفات السوية ، وكيفية الوضوء والصلاة والاستماع إلى الدروس وسؤال الأستاذ ووظيفة العامل ، والصانع والمهندس ... . إلخ ، وكيف يعد له الكتاب الذى يفرح بالقراءة فيه ، ثم مشاهدة صوره ... إلخ كما أننا عن صريق العرض بالفيديو ومشاهدته من قبل الأطفال . « أو العرض بالشاشة » يمكن أن نعلمه الإلقاء الصحيح ، وكيفية ممارسة هوايته ، كل ذلك يعرض على الطفل فى لغة صحيحة ومفهومة له ، ويحسن أن يتبع كل بنشيد ، أو شعر ، أو نص أدبى أو قرآنى مناسب

٤ – المجسمات

أو ما يستخدم فيما يدعى « اللعب لتربوى » فيجد الطفل أمامه مجسما لآلة أو ماكينة ، يمكن أن يفككها ليعيد تركيبها ، وفى المرحلة التالية يجد مجسما لمعركة عسكرية ، تجسد أمامه ملامحها البارزة ، ليستصحب ذلك ، وهو يقرأ عنها أو يُقَدَّم له نشيد حولها ويقدم له مجسم عن المصنع أو معلم بارز فى بيئته أو وطنه ، وحبذا لو أرفق بكل قصاصات ورقية يطلب من كل أن يكتب فيها ما يعن له ، بعد مشاهدته الشىء المعين من هذه المجسمات .

٥ – الخرائط المبسطة

والصور الموضحة لمعالم الطبيعة والأشياء الأكثر التصاقًا بحياة الطفل ، وبعض الأجهزة العلمية ، وبخاصة ما يكثر وقوع نظر الطفل عليه من الأجهزة الكهربية وكل مكوناتها ، كما يحسن أن تتوفر اللوحات المبينة للتكوين الداخلى للجسم الإنسانى ، والأخرى الموضحة لبعض المسائل العملية المبسطة عن التجارب والبصريات وغيرها . وليس يغيب عن الذهن أن توفر كل ذلك يجعل الطفل فى مراحل عمره المتعددة « من الرابعة حتى الرابعة عشر » أقدر على الكتابة والتعبير وتصور الأشياء تصورا دقيقا .

٦ – اللوحات الأنيقة

ومن البديهى توفر اللوحات الأنيقة المزدانة بجيد الأناشيد والأشعار المضمنة نصوصا من القرآن والحديث والحكم ، يطالع كل منها الطفل دومًا بما يقدمه له من حسن القول وعظيمه وجيده ، يكون نبراسا فى ذهنه وعقله الواعى ولعلنا بهذا وغيره ، مما ضاق عنه المقام ، نكون قد قدمنا ما ينهض بالطفل فى مجال « تكنولوجيات أدب الطفل » واستطعنا أن نجمع بين ما هو لفظى ، وما هو غير لفظى مما يكون فى خدمة الوسائط التربوية فى مجال « أدب الطفل » على أنه ينبغى فى إطار هذا كله ضرورة أن تتكامل الوسائط لفظية وغير لفظية .. ثم محاولة التنسيق بين الوسائل الناهضة « بأدب الطفل » والإطار الذى ينبغى أن يقدم من خلاله الأشكال الأدبية ، ويجمع « تكنولوجيا أدب الطفل » بيت أدبيات الطفل . وهو بيت يجمع سينما الأطفال ومسرحهم ، وعرض بالصوت لحواديت الجدة ويعمل المهارات ، والخطابة ، والمناظرة ، والمكتبة السمعية ، والبصرية .

رابعا : فى المصطلح وأدب الطفل :

(أ) الأدب :

حينما نستعرض مصطلح : « أدب الطفل » سنجد أن هذا التركيب الاصطلاحى ، يقوم على كلمتين : الأدب ، والطفل . أما الكلمة « أدب » فقد تطورت ، بتطور الحياة نفسها ، وانتقالتها من طور إلى طور .. وقد اختلفت عليها معان صدرت عن بيئات لغوية واجتماعية متقاربة ، حتى استقرت على معنى الأدب الذى بمعنى الكلام الجميل المنغم ، والمنثور نثرا متسقا ، ويقصد منه التأثير فى السمع ، وفى عواطف المتلقين بما يجعله أقرب إلى الذاتية والعاطفة ، سواء أكان شعرا أم نثرا ... والكلمة قد بدأت فى

طفولتها الباكرة تعنى الأدب ، أى الذى يدعو الناس إلى مأدبة ، أى إلى طعامه . قال الشاعر الجاهلى :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر

ظلت الكلمة مرتبطة بهذا المعنى الحسى ، إلى أن جاء الاسلام ، وأظل العرب بفضائله ، وقيمه الروحية العظيمة ، فاكتسبت معنى التهذيب ، وبث الفضائل حيث وردت على لسان الرسول الكريم بمعنى التهذيب الخلقى والتربوى . ففى الحديث الشريف : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ... ومع العصر الأموى ، أضيف لهذا المعنى معنى تعليمى تربوى ... حيث أطلق على جماعة من المعلمين اسم المؤدبين ... وقد عرف هذا العصر جماعة من المؤدبين تولوا تأديب أولاد الخلفاء والأمراء ، ليحققوا فى هؤلاء الأبناء ما يسود العصر من ثقافات علوم اللغة والشعر والنثر ، والعلوم ، وعلوم القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف . وفى العصر العباسى ، يتأكد لكلمة الأدب المعنى التهذيبى والتعليمى ، وتستخدم الكلمة فى مجالين : مجال التهذيب والتربية وترسيخ الفضائل ، ومجال التعيم والتثقيف وتكوين الشخصية المثقفة الثقافة العربية المعروفة حينئذ ، والسائدة وقتئذ ... . وفى ظل هذا الاستخدام ظهرت رسالتان لابن المقفع تتضمنان ضروبا من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » ، وهما تعدان الطفل كى يلتحم مع الجسد الاجتماعى مؤثرا ومتأثرا ، وفاعلا ومنفعلا ومتفاعلا ، وذلك بسبب ما تقوم عليه شخصيته من عناصر إيجابية ، ومقومات نامية فى اتجاه الأفضل والأجمل ، والأكثر تعاونا وتضحية ، ولهذا فإننى أعتبر « أدب الطفل » هو الأدب الذى أنتجته قرائح المبدعين عبر العصور المختلفة ، وكان صالحا لأن يقدم للأطفال فى شكل من الأشكال التى تتجاوب مع طبيعة وحقيقة عالم الطفولة ومراحل نموها المختلفة ، وهو الأدب الذى يناسب طبيعة كل مرحلة ، وكل عصر ، ويتكيف مع ما يقوم عليه هذا العصر من علاقات اجتماعية وثقافية وسياسية ... ، أى يمكن استخلاص وتوظيف واستعادة ما فى أدب التراث ، وأدب الكبار من أساليب وصور وأفكار ، وما يتضمنه من قصص وحكايات وخرافات وأساطير صالحة للتعامل مع عالم الطفل ، بما يمتعه ويفيده ، ويتمشى وقدراته ويجعل منه كائنا بشريا واجتماعيا وتربويا صالحا للالتحام مع مجتمعه وعصره .

وهو الأدب الذى استفاد من التراث السابق ، وقد تمثلته قرائح معاصرة ، وتذوقته ، وكانت قادرة فى الوقت نفسه على أن تعى مطالب عصرها ، واحتياجاته ، وتتقبل بفكر وثقافة ما قدمته الدراسات التربوية الحديثة من نظريات وثقافات حول الطفولة ،

فكان إبداعها للأدب فى إطار خاص ويتوجه إلى نوع خاص ، ومقصود منه الجوانب التربوية والثقافية والحضارية وبناء الشخصية بناء متكاملا ... وهذا الأدب هو ما يطلق عليه الآن « أدب الأطفال » ، وهو شامل لكل الأجناس الأدبية التى يقصد منها أن تتعامل مع الطفل فى إطار خاص ، وبشروط خاصة . فهو الأدب الذى يستمد مادته – أصلا – من الغنائيات والخرافة والحكاية الشعبية ، وقصص البطولات الفردية ، والملاحم ، والأساطير ، والحكم والأمثال ، والمواعظ الممسرحة أو الممثلة ومن الشخصيات الخرافية ، والتراجيدية ، مثل الجن والشيطان والمارد ، والإنسان الخرافى ببطولاته الخارقة ... ثم فى عصور حديثة ، يستمد الأدب مادته من التطور الهائل فى اللغة ووسائل الإعلام والمجتمعات العصرية ، والمشكلات الاجتماعية الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة فى مضمار الحياة والبطولات الفردية البسيطة ، والشخصيات العادية : المتسول ، والصياد ، والشرطى ، والفلاح ... كما أن الطفل الذى يحب المرح ، وتفيض حياته بالنشاط والحركة ويشعر بأن الجميع متساوون فى كل شيء وأن أباه يجلب كل شيء ، وأن انفعاله وعفويته وتلقائيته مستمدة من الفطرة والرغبات المطلقة ، والحاجات الشاملة . فأدب الطفل وليد هذا كله ووليد التطور الهائل فى مجال الإبداع الأدبى ودراسات الطفولة . ومن هذا كله يصبح الحاضر أكثر اهتماما بالطفل وعالمه وأدبه . والمستقبل أحفل بتحقيق الوعود فى صياغة أدب للطفل يصل إلى عقلية الصغار ويحقق أهدافا تربوية وثقافية ولغوية ويرهص بتراث أدبى يفى باحتياجات عالم الطفل الحقيقية ، والتى تثمرها دراسات فى مجالات عالم الطفل ... .

وفى هذا الإطار صدر لأبى تمام الشاعر : (٢٣٢/٨٤٦م) مختاراته التى جمع فيها شعر الحماسة ، وقصائد مختارة من شعر العرب ، وسمى الباب الثالث من هذه المختارات باسم « باب الأدب » بما يضفى على كلمة الأدب ظلالاً من الشعر والنثر وتعنى فنون القول . وتوسعت مدلولات كلمة « الأدب » لتشمل المعانى التعليمية الخاصة بصناعة النظم والنثر وجميع فنون اللسان ... ومع مرور الزمن ، وابتداء من التاريخ الأدبى الحديث ... أخذت تتخصص ، وتدل مباشرة على كل ما ينتجه الفكر واللسان من فنون القول المختلفة ... كما أخذ نشاطها يتسع لتشمل السنن والتقاليد والعادات ، التى ينبغى أن تراعى عند طبقة من الطبقات المهتمة بالفكر والعلم أو النظم الاجتماعية ... وأخذنا نسمع عن عناوين لكتب مثل : « أدب الكاتب » و« الشاعر » و« أدب النديم » و« أدب الصلاة » و« أدب المسجد » و« أدب المعلمين » ... ثم ضاقت دلالة الكلمة لتدل على

الأدب الذى يؤثر فى سامعه ، ويصدر عن عاطفة المبدع ، ويتضمن الرشين الموحى ... وأصبح لكل طبقة ، ومجموعة ، آدابها وأدباؤها ... فرأينا للكبار أدبا وللصغار والأطفال أدبا ، وأشكالا إبداعية . ومن واقع هذا النشاط ظهر فى العالم كله ما يعرف بأدب الأطفال .. وهو الاهتمام الذى أخذ ينتشر بين المبدعين ، والمؤلفين ودور النشر فى العالم العربى ، فكان « أدب الأطفال » الذى كان صدى للاهتمام بعالم الطفل وبأثر من الاحتكاك الثقافى والحضارى بين الشرق والغرب بعامة ، والعرب وأوروبا بخاصة ... وهكذا أضيفت كلمة أدب إلى الأطفال ، كما أضيفت إلى غير الأطفال من الهيئات أو الطبقات أو للمجموعات ، أو الأجناس الأدبية المختلفة .

(ب) فى (الطفل) :

و « الطفل » كلمة عاشت وستظل ، دالة على كائن له صفات خاصة ، ويتميز بخصوصيات فى الزمان والمكان . بما يجعله عالة على غيره ، ومحل عناية هذا الغير دائما ... وهذه الخصوصيات تقوم على الإمكانات المحدودة التى عليها الطفل ، ومن ثم تحديد ما ينبغى أن يقدم للطفل من لغة وفكر وأساليب ، والطفل ، وإن عرف لدى القدماء والمحدثين ، على أنه رجل صغير ، فإن له إمكانيات محدودة ينبغى النظر إليها عندما نعلمه أو نهذبه أو نربيه تربية جمالية أو اجتماعية ، أو سياسية ، أو مدرسية . وعلم التربية الحديث بأسسه ومقوماته قد أضاف للطفل مفاهيم حديثة ... حيث العصر ومطالبه والبيئة واحتياجاتها ، وعمر الطفل ومستوياته المختلفة والمراحل التى يمر بها هذا العمر ، ثم ماتلا هذا من إرساء لنظريات تربوية تنطلق من هذه المقومات والاتجاهات . كل هذا قد جعل من هذا العلم الحديث وظيفة وآيات تعمل على تكوين الأطفال ، بما يجعلهم قادرين على الإحلال ضمن إطار الخريطة الاجتماعية والسياسية والحضارية والثقافية ، والقيادية .

خامسًا – الطفل بين الإدراك الفنى اللغوى ، والنضج العمرى المرحلى :

١ – الطفل والإدراك اللغوى :

علاقة الطفل باللغة ، علاقة إنتاجية استمرارية ، واللغة فى علاقتها بعالم الأطفال ، لها أكثر من مصدر ، وهى واحدة من وحدات التعبير التى يتعامل معها الطفل (صغيرا وكبيرا) ، كما أنها البوتقة التى تنصهر فيها خبرات الطفل، وتجاربه .

لكن عندما تصبح اللغة فنا ، وتعبيرا فنيا ، فإنها حينئذ ينبغى أن تتفق ، ومرحلة الطفل النفسية ، والاجتماعية ، والعقلية والوجدانية .. وبأثر من هذا المفهوم عن اللغة ، وهى أنها أحد التعبيرات ، ومن وسائل التعبير المعروفة : الغناء ، الرقص الموسيقا ، الرسم ، الكلام ..[1] ، يمكننا التفرقة بين اللغة ، والكلام .. فاللغة : مجموعة من الأصوات ، أو الإشارات أو الحركات ، أو التلميحات التى بها تدل دلالة يفهم منها أى شيء .. أما الكلام ، فهو تشكيلات لغوية ، وحدتها الكلمة ، ومن مجموعها ، يتشكل معنى يحسن السكوت عليه . واللغة الفنية هى مجموعة الكلمات ، التى تثير انفعال السامع ، وتجذبه من نواحيه العاطفية ، أو الإنسانية .. والطفل الذى نثير خياله بالكلام ، أو نؤثر فى عاطفته ، وتوجهاته ، هو طفل ينمو ، ويتطور نموه نحو الاكتمال ، وهو لهذا يحتاج إلى نوع من الكلام المؤثر وذلك حسب مرحلته النفسية ، وقواه الإدراكية ، ونموه الجسمانى والأطفال لكى يكونوا ، مصدرا للسعادة ، والرخاء للوطن ، ومستقبل واعد للمجتمع ، ينبغى علينا تربيتهم ، وتنشئتهم التنشئة الصحيحة ، وذلك فيما يتصل بمأكلهم ، ومشربهم ، وتكوين ذوائقهم ، والتعرف على خصوصياتهم ، وخصوصيات مراحل نموهم ونتعامل معهم بدقة ، حسب هذه المراحل ، ونحن نقدم له الأعمال الأدبية . من ذلك مثلا ، أن الطفل من المهد إلى ٦ سنوات تعتمد الأعمال الأدبية المقدمة له ، على مشاهد لفرجة ، والأشياء الغريبة ، وسماع الخرافات ، وقصص الحيوانات والطيور ، والرقص الجماعى ، والموسيقا المصاحبة للرقص ، والغناء ، والأناشيد وأن يكون الصوت ، هو الوسيلة ، التى يقدم بها أدب الطفل » لأبناء هذه المرحلة ، ويمكن للوسيط الإذاعى ، والتليفزيونى والاسطوانات ، أن تلعب دورا هاما فى إحداث نوع تأثيرى فتتحقق استجابة الطفل ، ويتلقى هذا بوعى كامل ، وحس متفتح وفى هذه المرحلة ، ينبغى الاهتمام « بأدب الطفل » ؛ ليقدم فى أطر مختلفة بحيث يمكن الجمع بين الصورة ، والصوت ، والرسم ..

فالطفل فى هذه المرحلة يصاغ عقليا ، ووجدانيا ، ونفسيا بأثر من أدب الطفل ، الذى يحتل أهمية كبرى ؛ لأنه بمثابة المؤثر الوحيد والوسيط الأكثر إيجابية ، للربط بين

---

(١) فى كتابة الأطفال للأستاذ أحمد نجيب ، القاهرة ١٩٨٠ .

الطفل ، والعالم المحيط وفى المرحلة التالية ، من ٦ – ١٤ ، يستطيع الطفل ، بعد عملية تعلم القراءة ، والكتابة ، أن يعتمد على نفسه ، ويقوم هو بالقراءة ، والقدرة على امتصاص المعلومات ، والجماليات ويجد فى هذا متعة ، توفرها له أجناس أدب الطفل بالإضافة إلى متعة قيامه هو بعملية التلقى عن طريق القراءة .. والطفل فى كل الأحوال ، هو سيد الموقف متلقيا أو قارئا ، أو مشاهدا ، أو متذوقا ، كما أنه ليس هناك إجابة على عشرات الأسئلة الفنية والأدبية ، والتربوية من وراء تلقى الطفل لأدبه ، خلال هذه المرحلة ، إلا إجابة واحدة ، وتكفى ، وهى أن الأدب مرحلتئذ ، يمثل الغذاء الكامل الذى يحتاجه ، بناء شخصية الطفل ؛ إذ بهذا الغذاء ، تنمو مداركه ، وملكاته ، وقدراته ، واستعداده ، وبهذا الغذاء تتناغم العناصر المكونة لشخصية الطفل ، وتسلم تلك العناصر : والمعوّقات ، والبنى الأساسية للطفولة وإذا كان الطفل فى مرحلته الأولى : (المهد – ٦ سنوات) متلقيا بالمشاهدة أو بالسماع ، أو بالرؤية .. أو بالتفاعل مع ما يقدم ويطرح بتلقائية .

فإن أدبه – حينئذ – يخلو من تنافر الصورة ؛ أى تنافر أطرافها .. بل تناغمه ، وتلاقيها ، ويتأكد فى الأدب الميول ، والحاجات ، وارتباط الإحساس لدى طفل هذه المرحلة بتطور التركيب الفنى للأدب ، والعلاقات الخفية بين صوره بحيث تكون واضحة ، ومؤثرة ، ومفعمة بالجمال ، والحيوية فمثلا « علم بلادى مثل عيونى » « وأرضنا الخضراء مثل الجنة » وهكذا تمنحنا الصورة الأدبية ، ويتلقاها الطفل إحساسا كليا مفعما بالجمال ، ومترعا بالحيوية ، دون تحديد لمصادر هذا .. أما أطفال مراحل ما بعد تلك المرحلة ، فهم مع أدبهم أكثر حرصا على المشابهة المحسوسة ذات الكم المعنوى ، والخيالى ، والخرافى ، والاجتماعى والتاريخى الدرامى ، والأدب مرحلتئذ ، مؤثر ، ويأتى تأثيره من كيفية تنظيمه للأضداد ، وتقريبه للمتنافرات وإحداثه للانسجام الكونى ، مهما بدا فى الواقع من تنافر أو تضاد ؛ أى أن أدب الطفل ، سواء بالمرحلة الأولى ، أو ما تلاها يعمل على إنتاج مجموعة من المشاعر ، والعواطف ، والأحاسيس لدى الأطفال ، تنزع بهم نحو الإنتاج ، والإبداع والمصالحة والثقة فى النفس ، والخضوع تحت تأثير الضمير ، والالتزام تجاه الأمة والوطن والدين .

٢ – من خصائص أدب الطفل ، وعلاقتها بالمراحل العمرية :

وعموما فإن أهم ما يتميز به « أدب الطفولة » من خصائص . وتتحاور تلك الخصائص مع المراحل العمرية للطفل ، هو ما يمكن تذوقه ، وإدراكه ، والتعامل مع

دلالاته بمنهج الرمز الواضح البسيط الدلالة ، وعدم تكثيف المعانى ، بما لا يسمح بالغموض الكثيف الذى يذهب إلى الايحاء ، وأجواء الدلالات من أهم وسائله الفنية .. بل ينبغى ، أن يبدأ الخيال بسيطا ومحسوسا ، ثم يتطور ، ويتدرج تجريديا ، ومعنويا وتوظيفا حتى لا يقف هذا الغموض الكثيف حائلا فنيا دون فهم وتذوق أدب الطفل ، ويمكن إيجاز هذه الخصائص بعامة فيما يلى :

١ – أدب الطفل (قصة ، أو شعر ، أو مسرح ، أو أغنية ، أو أنشودة) بسيط فى صوره ، وأخيلته ، ومفرداته ، وقد يغلفه التهويم .. لكنه التهويم الذى يمنح العمل الفنى حيوية وحركة ، ويمده بغزارة فنية ، وإيحاء . يمنحان هذا العمل الاستضاءة الفنية المناسبة .

٢ – يعتبر الخيال المناسب لتلك المراحل ، هو الذى يوشى الأدب بما يبهر ، ويدهش ، ويشد الطفل ، خصوصا إذا كان هذا الخيال يخلع على الأشياء ، والجمادات ، والنباتات سحره الخاص ، وقواه الفاعلة ، ويحل الإنسان فى الجماد حتى يقترب هذا الخيال من الحدوتة ، والحكاية فالأسطورة ليشمل الأدب ، والأعمال الفنية جو أسطورى أخاذ .

٣ – الصور الفنية ، دائما يستمدها المبدع من رؤاه . فهى غالبا بصرية ، وأحيانا يستمدها من ذاكرته . فهى لذلك سمعية ، لكن الغالب ، هو أن صور الأدب المقدمة للطفل مشتقة من القوى البصرية : لتلائم أحوال الطفولة ..

٤ – قدرة مبدع « أدب الطفل » ، على الاندماج فى الوجود ، والإحلال فيه ، وتمكين الطفل ، من معايشة هذا العالم ، فى صورة حلولية كلية .

٥ – الاعتماد على الحدوتة ، والحكاية ، والقصة ، فى كثير من الأعمال المسرحية ، التى تتجه نحو القص ، والحكى ، حتى يشمل تلك الأعمال جو « فولوكلورى » ليثير القدرة على الانفعال ويجلو عن شفافية الفطرة ، ويربط الطفل بمساحات فطرية سليمة ، فتحقق بذلك سياقا مسرحيا مفيدا ونخلق نسقا لفرجة ، يجمع بين التوجيه ، والإرشاد والإبهار ، معتمدا على خصائص الطفولة نفسها .

٦ – ولعل أهم الحلول ، التى تجمع بين خصوصيات الطفولة والأشكال المسرحية المطلوبة ، والمناسبة ، والتى تؤدى إلى اقتراب من « عالم الطفل » هى تلك التجارب التى

تعالج مطالب ، وحاجات الطفل ، وتشبع تلك الحاجيات كما تحقق للمجتمع ، وللأسرة طموحهما فى الطفل ، فيتحقق له شكل مسرحى ، يفيض بمعايشته اليومية ، وأيضا تلك التى تعالج انتماءه ، والمسئوليات التى ستلقى عليه وتصطنع تجارب ، تعالج بها التاريخ ، والكون المحيط معالجة مسرحية ، خالقة بتلك المعالجة حالة تواصل قوية ، بين « مسرح الطفل » ومصادر تكوين شخصية الطفل والبناء الاجتماعى ، والتوجه بالجميع فى اتجاه العمل ، والعقل ، والتدين .

٧ – تشهد عقود ما قبل نهاية القرن العشرين اهتماما خاصا بالأدب الموجه ؛ الأدب النسائى، والأدب الشبابى، وأدب الطفل، وبالنسبة لأدب الطفل. -إننى أقترح إنشاء مكتبة الطفل فى كل بيت ، وشارع ، وضاحية ؛ ولتكون هذه المكتبة مقروءة ، ومسموعة ، وبصرية ، ونراقب ، ونعاون ، ونرصد الإقبال الطفولى . وبأثر من هذا كله نستطيع تحقيق أهداف تتمثل فى كيفية تقديم منهج ناهض بالشخصية المصرية واللغة القومية، والخيال، والإبداع .. ومن ثم بناء المجتمع ؛ لأن بناء أى أمة يبدأ من بناء طفولتها على أساس من الكشف عن القدرات ، وتقوية النوازع الإيجابية لغوية، أو إبداعية ، أو تخيل راشد .

٨ – ليتنا ، ونحن نبدع أدبا للطفل ، أن نعيش قضية التسامح الإيجابى ، وأعنى به : التمسك بالقيم واحترام حقوق الآخرين ، وارتياد دروب العقل ، والحكمة ، وسبل الإقناع ، والمقدرة الذكية على التفرقة بين الخاص ، والعام وبث الإيمان بين الجميع ، وإعلاء دور الدين والعلم .. حيث الحياة تتقدم بهما ، ويمتىء الجسد الاجتماعى بوعى صحيح يأتيه من رئتيه : العلم والدين .

الفصل الثانى

أدب الأطفال
من منظور فنى وتربوى

أولا : فى الفن الأدبى وأدب الطفل

إذا كان هناك أدب للكبار ، فإنه الأدب الذى لا يقصد مبدعه أن يتوجه به إلى هؤلاء الكبار ، كما أنه لن يكون الأدب الذى يتم إبداعه فى ظل شروط سابقة ، والحق أن هذه المعايير تعجز أحيانا عن التمييز بين ما نسميه بأدب الكبار وما نسميه بأدب الصغار . لكن الخصوصية التى تميز أدب الأطفال هى أنه أدب موجه ويتم إبداعه فى ظل شروط خاصة ويتوجه به صاحبه إلى الأطفال .. وهذه الخصوصية تتضح فيما يلى :

(أ) ماهية أدب الطفل :

الأدب فن لغوى جميل ، ويدفع إلى المتعة ، ويعمل على توحيد المشاعر الإنسانية ، ويغذى العوطف بأنبل التوجهات وأفضل النزعات ، ويعبر عما ندفنه فى أعماقنا ، وقد نخجل من البوح به .. ويصور فى صدق أصالة الحياة ، ويثرى تجاربنا بها ، ويرسخ خبراتنا عنها ، وهو للطفل بخاصة يوفر له الإحساسات المترعة بالأمن والطمأنينة ، ويخرجه من عالمه الخاص ؛ ليشارك الغير البهجة والانفعال الجميل . والأدب يحول الواقع أمام الأطفال فى ألوان من التعبير الفنى الذى يرقى به وجدانا ، وعقلا ، ويسمو به لغة وأسلوبا ، وصورًا نابضة بالخيال الجميل ، بوثباته الحلوة المرحة ، وتجاوزاته ، وامتداداته ، واتساع رقعته مما يجعل الطفل فى حالة من التوحد والامتزاج ، والتشكل فى صيغ تناسب قدراته ، واستعداداته ، وتجعله – أيضًا – فى حالة كشف ، وإبداع وابتكار .. وإذا كان الأدب بكل ما يحمل من خصائص وفى كل مستوياته اللغوية الراقية ، وبما يتضمن من حقائق وافكار يحمل أهم ما تحتاج إليه الحياة ، وهو نقل الأحاسيس الإنسانية ، وتخليد الحقائق التاريخية ، والواقعية – فإن أهم ما ينبغى تقديمه يكمن فى تلك الألوان التى تساعد الأطفال على أن يكونوا موصولين بنفوسهم ، وتاريخ

أمتهم ووطنهم وتوثيق الصلة بدينهم ، وخصوصيات مجتمعهم ، ومتفاعلين مع تراثهم الشعبى والإنسانى ، وقادرين به على استيعاب أفكار مجتمعهم الإنسانى ، وإنجازاته الفكرية والعلمية والتطبيقية .. فأدب الطفل – حينئذ – له تميزه وخصوصياته ، وشروطه الفنية والنفسية واللغوية ، وأهدافه التربوية والثقافية والعلمية . وفى كل الأحوال تكون اللغة جزءا منه ، بل هدف فى حد ذاته ، يثير انفعال الطفل بكل ما هو جميل بما يقدم من ألوان التعبير والأساليب .

ومن ثم يمكن للأدب أن يفيد الأطفال ، والتلاميذ بعامة فى النواحى التى تتصل بالوجدان والعقل والنفس وبناء الشخصية ، ومده بالمعارف .

(ب) أهداف أدب الطفل :

١ – الطفل بفطرته منجذب إلى الموسيقا والإيقاع ، ويميل إلى الأدب الذى يشبع فيه رغبته الملحة إلى الفن بعامة ، والأدب الغنائى بخاصة ، كما أن للأساليب الأدبية قيمها الجميلة وجمالها المعهود الذى يستشعره كل طفل ، حتى دون أن يفهم سببا لذلك ؛ لأن الطفل حساس بفطرته لكل ما يساعد على الإثارة والانفعال الجميلين .. فلكل من القصيدة الجيدة ، والقصة ذات الحبكة الفنية الممتازة ، والمسرحية ، والقطع الأدبية ، وما يجرى بها من إيقاع موسيقى ، ونغم متدفق – الأثر المحمود فى ترقية وجدان الطفل ، واستعادة الثقة فى نفسه وفيمن حوله ، مما يزيد فى إعجابه بالحياة ، وحبه لها ، ويدفعه من ثم إلى التعلق بها والعمل من أجل إنهاضها ، وإسعاد غيره . فالأدب لكل هذا معرض فنى ، وموطن لجمال الكون والطبيعة وصور الحياة ، ومجال للأذواق وترقيتها ، وعنصر فعال فى بناء الشخصية وتنمية قدراتها وتنويرها .

لهذا كله كان الأدب أحد المجالات التى تعمل على ازدهار الطفولة ، وتربية الناشئة ، وسبيلا من سبل العلاج والترقية والتهذيب .

٢ – صورة الأدب وحقائقه وأساليبه ومعارضه الفنية هى التى تمتزج فيها الموسيقا بالعواطف ، واللغة والمضامين بالخيال ، واندماج الطفل فى هذا الجو الأدبى الغامر ، يعمل على إثارة العواطف ، والانفعال بالأشياء ، مما يكون له أبعد الأثر فى تحسين طباع الطفل ، وتنقية سلوكه من الشوائب وترقية ذوقه ، وتعديل مسار حياته نحو الأفضل ، لأن الصور الفنية والأدبية بخاصة ، تترك آثارًا طيبة فى النفس ، وتساعد الذهن على الصفاء ، والإدراك الحر الجميل ، كما أن الأساليب الأدبية ، تعرض علينا نماذج طيبة من

التراكيب اللغوية الجيدة ، والكلام المتضمن أرقى المعانى ، كما تعرض تلك الأساليب نماذج جميلة وطيبة ، يهتدى بها الطفل فى سلوكه وحياته العامة .. وإذا كانت التربية السليمة فى مجال الأخلاقيات تقوم على المحاكاة والتقليد ، وترى فى الفعل الممتاز بتوجهاته وبما يتضمنه من معان كريمة نموذجا يحتذى ، كما ترفض هذه التربية فى كثير من النواحى الاعتماد – قط – على النصح والإرشاد ، وهى لذلك لاتعتمد كثيرًا على المباشرة والتوجيه المقصود ، ولا على الأدب ، فى بث الأخلاقيات الكريمة ، لأنه فى أفقه الأوسع ، وبكل ما يحمل من عناصر الوعظ والإرشاد والتوجيه ، ينبغى أن يعالج بشكل لا يجعل من الأدباء وعاظا ومرشدين .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن الأدب بما يحمل من انفعال بالعواطف ، والمثل الكريمة ، والأعمال العظيمة ، يكون له أعظم الأثر فى ترقية السلوك ، وبث الأخلاق الفاضلة ، وتقويم المعوج من السلوكيات

المنحرفة ؛ لأنه – حينئذ – قوة قادرة – بما تملك من الفن – على السيطرة والنفاذ ، وغمر الأطفال بفيض من المشاعر الطيبة ، والأحاسيس النبيلة ، والعواطف الصادقة ، والضوء الغامر لكل ما يصدر عن الطفل من أفعال ، حتى يكون فى متناول التقويم والتطوير .

٣ – والأطفال بحاجة إلى أدب خاص بهم ، لأنهم أحوج فى مراحلهم الباكرة إلى ترسيخ تقاليد صحيحة للغة ، واستعمالاتها . وبعرض الصور الأدبية ، ونماذج الأدب الرفيع ، وأجناسه المختلفة من شعر [قصائد وأناشيد ومقطوعات غنائية] وقصص وروايات ومسرح ، وحكايات شعبية ذات أساليب موحية ورمزية على الأطفال لقراءتها وحفظها أو سماعها ، أو المشاركة فى تمثيلها وإلقائها ، بعرض ذلك تتسع مجالات التعبير لدى الطفل وتتكاثر ثروته اللغوية ، وتتعدد استعمالاتها ، ويكتسب قدرة على تفهم المواقف ، وحل ما يعرض له من مشكلات اجتماعية تساعد اللغة فى اكتساب الكثير من طرق حل تلك المشكلات كما تساعد – أيضًا – على تمثيل المواقف الأدبية ، وما تستلزمه من وسائل وأساليب متباينة وفنون مختلفة التعبير . وقد يكتسب الطفل بسبب هذا أصالة لغوية ، وخصوصية أسلوبية ، تساعده – فيما بعد – على أن يكون أديبا ناثرًا ، أو شاعرًا متذوقا ، أو فنانا مبدعا للأشكال الفنية .

وكثيرة تلك الآثار التى للأدب وفنونه .. فالأدب بفنونه المختلفة التى تعرض على الأطفال فى فنون قولية راقية ، وعلى رأس هذا جميعًا القرآن الكريم ، والأدب النبوى

الشريف ، والشعر والنثر ، يعمل – سواء كان موجها للطفل ، أو قائما على أفكار متصلة بعالم الصغار – على تكوين عادات لغوية وأسلوبية سليمة ، ويكون رصيدًا فكريا إيجابيا .. ولهذا كله ينبغى ألا نقدم للطفل من الأدب ونماذجه ، إلا ما امتاز بالألفاظ الصحيحة فى معناها ، ومبناها ، واستعمالها وما احتوى على الأسلوب السليم الموجه للنموذج الأدبى المراد عرضه على الصغار ، والذى يستهدف تكوينهم الأدبى واللغوى والأسلوبى ، ويتضمن المعنى الإيجابى ..

٤ – والطفل وهو فى حالة تلق للأدب ، يعيش ألوانا من الأخيلة الموجبة لاتساع الأفق ، وتعميق الأحاسيس ومدركات الحواس ، فهو مع الأدب فى حالة وجد ونزوع وخيال رشيد . ولهذا كان الأدب الذى يقدم للأطفال بقوة روحية ، يعمل على بناء شخصية الطفل ، وتغذيته بقوة روحية ، تسرى فى مقومات تلك الشخصية ، وهو مع هذه الخصوصيات الخيالية والعاطفية والفنية ، ينبوع يفيض بكل ما ينمى قوى الإبداع والابتكار وأصالة الشخصية ، وتربيتها تحت ظلال الأمن والانتماء .

٥ – كما يحقق الأدب المقدم للأطفال قيمة نفسية ، تعمل على توازن الشخصية وقدرة على مواصلة البناء ، وإقبال مرح على الحياة وهذا راجع إلى أن الأدب ، يرى بالعواطف والمشاعر والخيال المتقد وهذا يمثل أهم عناصر الطاقة الحيوية ، ويشجع على العمل المنتج فما أكثر هؤلاء الأطفال الذين حفزتهم قصيدة شعرية أو نشيد متغنى به ، أوشدت انتباههم حكاية شعبية أو حثهم على تمثيل القيم الاجتماعية والإنسانية قصة محكمة البناء .. وكم من هؤلاء الأطفال الذين رقت مشاعرهم ، وصفت نفوسهم ، ودقت مشاعرهم وسمت عواطفهم وامتزجت آمالهم بآمال مجتمعهم ، وأحلامهم بأحلام الإنسانية .. حيث الأدب وحدائقه المختلفة ينابيع يستقى منها هؤلاء الأطفال تلك الآمال الممتزجة والأحلام الإنسانية الممتدة والرغبة المشتركة فى مواصلة الحياة .

٦ – الأدب بعامة صورة للحياة ، وتعبير عن نشاطها وحركتها وأدب الأطفال – فوق هذا – يتضمن خبرة حياتية ، ويعكس فى نماذجه التجارب الإنسانية ، وآراء أصحابه التى استقوها من مشاهداتهم ومطالعاتهم وتأملاتهم .. ومن ثم فينقل إلى الأطفال حين يقرءون أو يسمعون ، أو يشاهدون .. فأدب الطفل بهذا مصدر للمعرفة ، والخبرة والتجارب التى ينبغى أن يتسلح بها الطفل ، وهو يضع رجليه على أول الطريق ، نحو موقع المسئولية التى يتحملها مع مستقبله الواعد .. لكن الأدب ، هو صورة للحياة وينبوع

للخبرات ، والتجارب التى تثرى عقل ووجدان الطفل والتى ينبغى أن تكون مقبض القائمين على تدريس أدب الطفل ، لأن هذا الأدب ينبغى أن يكون بعيدا عن المباشرة ، والوعظية ، والخطابية ، وأن يكون مسلحًا بالخبرة والتجربة ، والمعرفة الدقيقة بالمجتمع والنفس البشرية .

وهذه مهام يستطيع الأدب أن يتحمل مسئوليتها ، فمثلا يستطيع الشعراء أن يقدموا للطفل فى أشعارهم خبرات وتجارب فكرية وعاطفية واجتماعية ، وذلك فى إطار من الأساليب الجميلة الرائعة الموسقة .. كما أن كتاب القصة والرواية والحكاية الشعبية ، والمسرحية ، يستطيعون ذكر التفاصيل والحقائق ، والمعارف والتطورات المتصلة بالمجتمع ، وتطوره ، وبث أخفى المشاعر وأدق الاختلاجات والعواطف ، والنزوع والدوافع ، وذلك برغم تعقدها وتشابكها ؛ فيكتسب منها الطفل معرفة وتجربة ، حيث الطفل – حينئذ – يطلع بواسطتها على كثير مما كان يجهله وتتسع معرفته بذلك ، وبالنفس والمجتمع والحياة .

٧ – إن جميع المواقف التى يعيشها الطفل أو التلميذ ويعبر من خلالها عن موقفه من كل ما يحيط به تشكل كلا لا يتجزأ ، ونشاطا مترابطًا لا ينفصم .. وإن التفاوت فى درجات تطور هذه المواقف داخل إطار الطفولة والتلمذة يؤدى إلى ظهور أكثر من مفهوم حول العلاقات التى تنشأ بين الطفل ومجتمعه ، ورغم ذلك هناك ظاهرة مشتركة بين كل هذه المواقف والعلاقات ، وهى ظاهرة شيوع العاطفة ، التى يمكن للأدب بكل أشكاله التعبيرية أن ينميها لصالح توجيه هذه المواقف ، بما يجعلها متنوعة حسب طبيعة كل موقف .. ومن ثم يقل التعميم ، وتضيق مساحة العموميات لدى الطفل ، أى أن الأدب يساعد الطفل على تفهم مواقفه ، وتوجيهها الطيب لصالح المفهوم الحقيقى والواقعى .

ثانيًا : أدب الطفل ووظيفته التعليمية والذوقية

(أ) الوظيفة التعليمية :

من أفضل الوسائل التعليمية تلك التى تتم بواسطة السمع والبصر ، وترفض الورق كوسيلة للتعلم والتذوق . فالأدب المكتوب من الوسائل التعليمية المحدودة الأثر ، وحينما يصبح الأدب مسموعا أو مشاهدا فإنه – حينئذ – يؤدى دوره كاملا .. كما أن التراث الشفهى كان من أقوى الوسائل فى نقل المعارف ، والحقائق ، والنماذج الأدبية الراقية .. وذلك للأسباب التالية :

١ – أن أسلوب الحكى والقص يحقق الألفة ، والعلاقة احميمة ، والمودة والثقة المتبادلة بين المتلقى ، وهو هنا الطفل ، ومن فى مستوى مراحل الطفولة ، و « القاص » أو « الحكواتى » . وفى إطار هذا التبادل الدافىء فى العلاقة تتسلل المعلومات بخفة وسهولة ويسر .. ويقبل عليها الأطفال بشوق ولهفة .

٢ – أن رفض « فن الكتابة » واعتماد فن القصة على التلقى سماعا تلقى المسرح مشاهدة بصرية حيث المبدع يلتقى فيه مباشرة – أمر يحقق عمقا فى الذاكرة .. بحيث لا تنسى هذه الأعمال الفنية ، وتظل محفورة فى وجدان وعقل المتلقى ، وتمده بالمعلومات فى حينها .

٣ – فى المراحل المختلفة لنمو الأطفال ، ينبغى بناء الأدب بعامة والقصص بخاصة على مواد تعليمية ترتبط بميول التلاميذ والأطفال وخبراتهم ، لأن مثل هذه لمواد التعليمية تزيد من شغف الأطفال والتلاميذ بالأعمال الفنية ، وتدفعهم إلى بذل المزيد من حسن الاستعداد ، ومن الجهد العقلى للاستفادة من هذه المواد . كما تزيد من تهيئتهم للاستفادة الوجدانية وقدراتهم على الحفظ والقراءة والأداء اللغوى والصوتى السليم .

٤ – الأدب فى إطاره القصصى مصدر للنمو اللغوى السليم عند الأطفال والتلاميذ .. وبرغم ما فى أطوار نمو الأطفال من اختلاف وتباين حيث الاستعدادات لتنمية اللغوية مختلفة .. فإن الأدب يساعد كل الأطفال ، ابتداء من مرحلة الحضانة حتى عتبات الشباب على التحصيل اللغوى وتنميته ، ويتزايد المحصول اللغوى ، وتثرى دلالاته وتتنوع استخداماته ، وذلك بأثر من تزايد عمليات النضج الداخلى لدى الطفل ، والخبرات التى تزوده بها البيئة والتجارب التى يمارسها بحكم تقبله وتلقيه للإبداعات وفى مقدمتها القصص والمسرحيات .. ثم ألوان الأدب المختلفة من أناشيد ، وأشعار جميلة ، وأغانى ذات إيقاع جماعى ، لكن بشرط أن تكون هذه « الآداب » متلاقية مع حاجة من حاجات الأطفال .

٥ – الأدب مصدر من مصادر المعرفة ، فى مرحلة من مراحل الخصوصيات المعرفية التى تصبح موضوع اهتمام المبدع مثل القصة أو المسرحية أو قطعة الشعر ، حينما تكون حاملة للغة الخطاب المعرفى ، والطفل والتلميذ والآباء والمدرسون يجدون فى هذه النماذج الأدبية ما يجعل المتلقى من عالم الصغار قدرا على اكتساب ثقافات ، وتتبع ما يجد من ألوانها ومن فنون المعرفة ، ويكون عادات وجدانية تسهل التقاط المعرفة والأدب باعتباره

نشاطا لغويا يساعد على التربية السليمة .. حيث الخبرة والعمل ، والإحساس السليم والعاطفة الايجابية تساعد الأدب على تنميتها ، والأدب – فوق هذا – ينتقل بالمدرسة وبعمليتها التعليمية من مجرد تلقين التلميذ مواد دراسية إلى تزويده بالخبرات العقلية والوجدانية ، وإعادة تنظيم خبراته السابقة ، بصورة تضيف إلى معناها ، وتزيد من قدرته على توجيه مجرى خبراته التالية نحو تحقيق أهداف التربية فى خلق المواطن السليم جسمًا وعقلا وروحا ووجدانا وقلبا .. إلخ .

(ب) الوظيفة الجمالية التذوقية :

الطفل يولد بمشاعر رقيقة ، وشعور فياض بالنيات الحسنة ، والحب المتسامح النبيل .. وهو يولد مزودا بخبرات فطرية جميلة .. فالطفل قيمة تنطوى على الخير والسعادة والرفاهية حبا ومودة وتواصلا كما أنه معروف بشمولية ذوقه ، ورهافة حسه وسعة خياله ، وحبه وشوقه للمجهول ، وقيام عالمه الطفولى على المغامرة ، والحل والتركيب . والسؤال أن الأدب يخلق فى عالم الطفل توجهات نحو الجمال ، ويبرز القدرات المتذوقة ويكشف عن القدرة الإبداعية .

كما يستطيع انطفل بكل مراحل نموه ، أن يكتسب تدرات التذوق حسب كل مرحلة ، وخصائصها ، وقيمها ، وطبيعة العمل الأدبى المناسب لها .. بذلك نستطيع تنشئة الطفل تنشئة تذوقية حسب استعداده ، وقدراته ، وطبيعة مرحلته .. فرحلة الطفل خلال مراحل نموه برفقة الأدب ، تخلق نوعا من الصلة بين الجمال والإحساس به ، ويمكن تلمس أثر هذا على الطفل الذى تعود الاستماع إلى الأدب أو مشاهدته ، أو قراءته .. حيث الطفل يكون عادة فى أتم صحته النفسية ، وأكمل درجات نضجه ، وأفضل حالاته الوجدانية والذهنية .. وهذا كله صدى للحس الذوقى الذى نما لديه أثر إرتباطه الدائم بالتذوق الأدبى . ويمكن بلورة العوامل التى تنمى التذوق الأدبى لدى الأطفال وذلك بأثر من تعاملهم مع الأدب استماعًا أو قراءة أو مشاهدة ، وذلك فيما يلى :

١ – يعمل الأدب على تنشئة الشخصية ، وتكاملها ، ودعم القيم الاجتماعية والدينية ، والثقافية .. ومن ثم تتكون عادات التذوق السليمة ، والتوجهات نحو الجمال فى كل ما يتصل بالحياة اليومية والاجتماعية ، والحضارية . ويصبح الطفل قادرًا على مواصلة علاقاته الإيجابية ببيئته ، ويؤكد دائما على مطالبه لتحقيق الجمال فى حياته العامة والخاصة .

٢ – تتكون لديه قدرات وخبرات وتجارب وثقافة تعمل على التأكيد على شخصية الطفل المتذوقة للجمال ، وإصدار أحكام إيجابية لصالح النظام والنظافة ، وذلك فى إطار الجمال العام . بالإضافة إلى دعم القيم الروحية والقومية والوطنية لدى الأطفال ، وذلك لخلق ثقة كاملة فى مستقبل أمة تنهض على أكتاف مسئولين تربوا وهم أطفال على التذوق ، والتمسك بالجمال فى حياتهم الخاصة والعامة .

٣ – كما أن تذوقهم للغة ، وجمالياتها يساعد على تنشيط وجدانهم ، وإكسابهم القدرة على تذوق اللغة واستعمالاتها وحسن توظيفها .. ومن ثم تتكون عادات عقلية وفكرية ، تكون قادرة على تهيئة أطفال اليوم ، ليصبحوا قادة المستقبل ، ومفكريه .

٤ – إن الأطفال الذين ينشأون نشأة تذوقية أدبية يحققون اكتساب المهارات التالية :

(أ) التعبير باللغة والرسم عن أفكارهم ، وإحساساتهم لتنمية قدراتهم على الاستفادة من ألوان الثقافة وفنون المعرفة ، وإعدادهم للمواقف الحيوية التى تتطلب القيادة والانتماء ، والتمسك بالجدية ، والاستفادة فى الوقت نفسه من مباهج الحياة .

(ب) التذوق اللغوى والأدبى ، يحقق للأطفال مجالات وآفاقا أوسع فى تعاملهم واحتكاكهم الاجتماعى والإنسانى ويعالج سلبيات الأطفال المتمثلة فى انطوائهم وعزلتهم ، وخجلهم ، وتهيبهم ، وإرتباك مواقفهم . وتخرجهم هذه القدرات اللغوية ، وتذوق الأدب من إطار عيوبهم الشخصية والاجتماعية إلى إطار أوسع من النشاط والحيوية والتعاون والإقبال على الحياة .

(جـ) القدرة على القراءة الواعية ، وعلى تقدير قيمة الكلمة المكتوبة فكرية ووجدانية ، ومن ثم إعداد الأطفال لتولى أعمال إذاعية ، ومسرحية ، وصحفية ، وأعمال علاقات عامة .

(د) إذا كان بعض الباحثين يرون اللغة ذات بعد واحد كما فى القواميس ، فإن الأدب . يمكن الأطفال من معرفة الدلالات المعجمية ، ويزودهم بالدلالات الثانوية الموحية ويخلق لهم من خلال تذوقهم ، واستعمالاتهم أبعادا جديدة عن طريق المجازات ، التى هى فى الحقيقة ، استعمالات لغوية تدل على الذكاء ، وحسن توظيف اللغة ، وضرورية لتنمية التعبير وإمكاناته وتجديد طرائقه .. بل هنالك من يرى أن اللغة كلها مجازات .

وفوق هذا كله .. فدورنا كبير تجاه الطفل ، والاقتراب من عالمه ، ووضع هذا العالم ، فى خندق مساو لهمومنا الوطنية والقومية ، وعلينا لذلك أن نبصره ، بمعنى الثقافة العربية الشاملة للإيمان بعدم التفرقة بين العلم والدين ، بين العقل والطبيعة ، وقوانين الحياة ، وأن الإنسان الحق هو من يستفيد من الإنجازات الحضارية المعاصرة ، مع الأخذ فى الاعتبار بدور التراث فى جوانبه الإيجابية المضيئة ، وأن الله خلق هذا الكون لخير الإنسان ، وليبدع هذا الإنسان ويبتكر ما فيه صلاح دنياه وآخرته .. وهكذا تكون تربية الطفل بمنهج عقلانى تربوى جمالى رشيد ، وهذا هو أثمن ما نحرص عليه من « أدب الطفل » .

(هـ) الأدب فن .. والفن موطن الجمال، وعلاقة الذوق بالفن ، قائمة على تنمية الإحساس بالجمال لدى أطفالنا .. فالأدب ، وهو لون من ألوان الفن ، قادر على تغذية مخيلة الطفل بكل ما يثير ويمتع . لكن بشرط أن يكون الخيال الذى نحرص على تقديمه لأطفالنا ، قائما على علاقات سببية ، وتتبعية ؛ ولهذا اعتبر الأدب المقدم للأطفال ، وسيلة ناجحة للكشف عن قدرات الأطفال الابتكارية ، وموهبتهم الإبداعية ويتأكد هذا أكثر ، حينما يكتسب هذا الأدب بلاغته ، وقيمه الجمالية من الصور اللغوية الأسلوبية التى تؤكد ولاءها لعالم الطفل ، والمواقف البسيطة ذات الكثافة الإنسانية ، التى يعيشها الأطفال ، أو حلم طفل بامتلاك لعبة، أو القيام برحلة تحمله إلى أرض أحلامه .. وهكذا يرتبط الأدب بالتذوق الطفولى .

(و) إن الأدب فى أفقه الأوسع ، مجموعة من التجارب والخبرات .. وعندما نقدم شيئا منه لأطفالنا إنما نقصد إلى أن الأطفال ، لم يخوضوا أية تجربة شخصية مؤلمة ، ولم يستطيعوا التعرف على معنى وماهية الخوف القابع فى أعماقهم ؛ ولهذا فإنهم يجدون فى أدبهم ، تعويضا عن ذلك فى تلك الشخصيات ، والأحداث ، والمناسبات التى يتضمنها أدبهم .. فكاتب أدب الأطفال العظيم هو القادر بحق ، على التعبير عن مشاعر الخوف العميقة لدى أطفالنا ، والقادر – أيضا – على أن يبتكر لهم مشاعر ، وأحاسيس ، تربطهم بالحياة بشكل أجمل .

الفصل الثالث

أجناس أدب الأطفال

أولا : الأدب بين أدب الكبار ، وأدب الصغار :

الأدب فى أفقه الأوسع هو نتاج القرائح الفياضة باللفظ الرشيق المونق ، والمعنى الجميل المبتكر ، فى أداء صوتى إيقاعى محبب وهو فى عمقه الفنى صياغة فنية مبتكرة وينطوى على الكثير من المواقف التى تعلم الحكمة والتسامح ، وتغرس المحبة والصبر ، وهو عمل لغوى يمثل تجربة إنسانية تجاه الحياة والكون والوجود والمصير ... ومبدعه لا يملك خلال عملية الإبـداع إلا أن يكون صادقا ومنفعلا وحساسا ، وإن الغاية الأخيرة من الأدب ، هى الإمتاع ، وتوحيد المشاعر الإنسانية تجاه الأشياء ، وإدخال البهجة والسرور إلى قلوب متلقيه ، وإحداث نوع من الأحزان النبيلة تجاههم ؛ لأنه – أى الأدب – يظل فى كل الأحوال ، ما دام نتاج الصدق والأصالة ، أقرب إلى قلوب المتلقين ، وجمهور قرائه وسامعيه ؛ لأنه – دائما – يمس عمق مشاعرهم ويعبر عن واقعهم ، ويصور أمانيهم وطموحاتهم المرجوة . وفى هذا كله يتفق الصغار والكبار .. فيتذوقون معا وينتفعون ، لكن درجة الاتفاق أو التأثير مختلفة ، ومستوى التذوق متنوع .

والتأثر قد يختلف هنا أو هناك ... ونظرا لما يحمله الأدب من خصوصيات الفطرة الإنسانية فى اللغة والمعانى والأساليب ، والصور والأخيلة والعواطف ، والإيقاع الموسيقى بمصدريه الداخلى والخارجى ، فإنه موجه إلى الإنسانية جمعاء ... فالكل أمام الأدب يتساوى من حيث التأثر ، والانفعال ، ووحدة المشاعر ، ورهافة الأحاسيس ، وزخم العواطف ، وكثافة الفيض القلبى ، لكن تبقى درجات من التفاوت بين طبقات المتلقين تجاه الأدب وتتأكد دائما درجات التفاوت بين الكبار ولصغار من ناحية التلقى ... ومن ثم يتحقق نوع من الاختلاف بين أدب الكبار وأدب الصغار ، ويتمثل هذا الاختلاف فيما يلى :

(أ) إن أدب الكبار تبدعه قرائح ، وفى ظل مطالب الحياة تتم عملية الإبداع دون شروط سابقة ، وتوجهات خاصة . وهو – حينئذ – تعبير عن حياة قد استقرت أصولها وتقاليدها ، وهدفه الموصول دائما بوظيفته أن يكون تعبيرا أمينا عن تجربة بشرية ، يعيشها

المبدع ، ويحاول التخلص منها عن طريق التعبير عنها ، وصبها فى صياغة تسمح للغير بالمشاركة فيها بالإحساس بها ، والانفعال عن طريقها ، أما أدب الأطفال ، فإنه يصاغ فى ظل شروط سابقة ، وينطوى على التوجيه وبث التوجهات فى المتلقين ، ويصور حياة لا تضبطها قواعد وتقاليد بقدر ما يحيط بها من متع وآمال وطموحات وأحلام وردية كما أن المبدع لا يعيش تجربة بشرية كاملة . وإنما يعيش موقفا تربويا ، ويتسلح برؤية إنسانية أخلاقية ، تحسن رؤية الأشياء ، وتعمق جوهر الحقائق حتى يصدر الإبداع فى أدب الأطفال عن وعى كامل برسالة المبدع ، وهو يتعامل مع الأطفال ويعمق رسالته فى الحياة ، عن طريق مسئوليته تجاه إعداد البنية الأساسية فى النظام الاجتماعى القائم على الطفولة .

(ب) تقوم عملية الإبداع للطفل على خصوصيات الأدب بعامة ، ويخاطب الجميع ، حيث درجات التأثر قد تختلف بين الكبار والأطفال ... ومن هنا يتسم أدب الأطفال بخصوصيات تضبط المبدعين فى هذا المجال ، وتجعلهم فى حالة وعى بالمراحل التى يمر بها الأطفال ، ليخرج أدبهم متمثلة فيه خصوصيات تلك المراحل . ومن هذه الخصوصيات ، نقف على أن أدب الأطفال نشأ جنسا أدبيا خاصا ، له أسسه ومقوماته المتصلة بطبيعة مادته اللغوية ، وتراكيبه الأسلوبية ومضامينه ، وأشكاله الفنية ، وأنواعه الأدبية . أما أدب الكبار فمطلق ، وغير خاضع لكل هذه القيود لأنه عبارة عن كلمة جميلة يقولها مبدع ، ليرمى بها فى نواحى البرية ، ومتوجه إلى متلقين يملكون قدرا من جودة التلقى ... ولا شك مع هذا فى أن أدب الطفل ، يختلف عن أدب لكبار ، فى أن الأول تبدعه قرائح تتعامل مع عالم لغوى ودلالى وفكرى وحياتى خاص وله قيود تأتيه من الخارج .. أما الثانى ، فتبدعه قرائح هى التى تمتلك عالمها اللغوى والفكرى وتجربتها الحياتية الخاصة .. وفى الأول يهم المبدع أن تتحقق رسالته ، وتتوثق توجهاته ، وتتأكد وظيفته الأدبية ، والثانى يهمه أن يتخلص من تجربته بولادتها ، وانفصالها دون نظر للعواقب ، وما يحدثه الأدب من توجهات . فالإبداع هنا يتم فى ظل حرية كاملة .

(جـ) وأدب الصغار خيالى ينمو بداخله جنين التوجهات الإيجابية والأدب الذى يقدم للكبار ، يعبر عن ذاتنا تجاه الوجود والمصير ، ويبرز الحياة فى شمولية مفعمة بإحساس كامل بالحياة التى تتضح جوانبها المختلفة من خلال رؤية ، تدرك تلقائيا مطالب الكبار وما تفرضه الحياة الأدبية والاجتماعية والإنسانية من قواعد تؤكد صلة الأدب بمسيرة الحياة نفسها . أما أدب الأطفال فإنه يقدم للصغار ، وهو يحمل خصائص مراحلهم ،

ويعبر عنهم ، ويتم بالانفصال الكامل عن ذات المبدع ، كما لا يحمل رؤية مبدعه نحو الكون يدركه هذا المبدع الكبير فى سنه وخبرته وتجربته ، ولهذا فنحن لا نقصد من وراء « أدب الطفل » أن تعالج قضايا الكبار ، ونعبر عن همومهم بل نبث عوالم الأطفال ، وهمومهم وقضاياهم ونجعل إبداعنا لأدابهم ، وسيلة للتعرف على عالمهم ، والاقتراب من هذا العالم رغبة فى توجيههم وإسداء النصح لهم ، وإرشادهم ، والأخذ بيدهم .

(د) ويتضح الاختلاف أكثر بين أدب الصغار وأدب الكبار فى عملية النقد ، ويتصل من قريب أو بعيد بهذه الاختلافات جانب من جوانب ما بين « أدب الطفل » « وأدب الكبار » من نقد وتحليل ، وتوجيه أدبى .. حيث لقيم النقدية والجمالية ، والنظرية الأدبية ، لكل من الأدبين لا تلتقى على سواء ... ويترتب على هذا أن المعايير التى على أساسها ننقد ونحكم على أدب الأطفال تختلف عنها بالنسبة لآداب الكبار . ومن ثم يكون الاختلاف أوضح فى القوانين النقدية التى تحكم كلا منهما . وإذا كان أدب الكبار يخضع لما تخضع له الآداب من نظريات وقواعد ، وأسس نقدية ، قوامها النظريات والمدارس الفنية والنقدية المختلفة والمتباينة فيما بين « الكلاسيكية » و« الرومانسية » و« الواقعية » و« الرمزية » و« السريالية » فإن « أدب الأطفال » يخضع لأسس تتصل بعالم الطفولة ، وما يفرضه هذا العالم من أسس نفسية واجتماعية ، ولغوية ، ترتبط ارتباطا وثيقا .. بالمراحل التى تصوغ الطفولة صياغات تتفق وتختلف ... لكنها - دائما - تهيىء الطفل لمرحلة النضج وتحمل المسئولية ...

(هـ) « أدب الكبار » فى معظمه أدب على الورق يقرأ كثيرا ، ويسمع قليلا ، ويشاهد أحيانا . أما « أدب الأطفال » فليس أدب ورق بل مشاهدة بصرية قراءة ، أو فرجة وتتلقاه الأذن كثيرًا ... وهو فى كل الأحوال مرتبط من حيث علاقته بمتلقيه ، وبالمرحلة الزمنية ، وبعمر هذا المتلقى ... ففى المرحلة الأولى تكون المشافهة والاستماع أكثر قبولا وتأثيرا . وفى المراحل المتوسطة ما بين طفولة المهد ، وطفولة الشباب تكون القراءة ممزوجة بالرؤية والمشاهدة من أفضل وسائل نقل « أدب الطفل » أما فى مراحل ما بعد سن التاسعة فإن القراءة ، ثم المشاهدة ، من أقوى قنوات التأثير بأدب الطفل ، والتعامل معه ... لهذا كله كان أدب الطفل متميزا بخصائص وصفات وسمات تجعله أقرب إلى أدب نوعى متميز بمذاقه الخاص .

(و) « أدب الطفل » له تميزه وخصوصيته و« أدب الكبار » له حريته واستمراريته . وإذا كانت القيمة الأدبية لها أهميتها فى حياة البشر ... فقيمة أدب الطفل تجاوز الأهمية

الأدبية لآداب الكبار ، لتؤكد على أن « أدب الأطفال » ، له أهميته وخطره ؛ لأنه الغذاء الذى يبنى الطفل ، والماء الذى يروى عطشه . فهو مادة حياتية ومصيرية بالنسبة للأطفال وغذاء يلبى حاجاتهم الشعورية والعقلية ويمثل عناصر حيوية فى مراحل التكوين ، وفى كل الأحوال ، فإن الأدب الذى يكتب للطفل ويوجه إلى عالم الطفولة ، ينبغى أن يصدر عن مبدع لصيق الصلة بالأطفال وبعالمهم ويكتب وكأنه واحد منهم يعيش معهم فى واقعهم ، وخيالهم ، وفى بيوتهم ، وحواريهم ، وأزقتهم ، وساحاتهم ، ومدارسهم ، وحدائقهم ، ومتنزهاتهم ، ومتاحفهم وأماكن لهوهم ومرحهم ، ومرابع لعبهم ومسارحهم ، ورحلاتهم ، لا أن يكتب إليهم من عليائه ومن برجه العاجى ... لأنه حينئذ سيفقد صلته بهم ، وسينفرون من كتاباته ، سيجدون فيها أفكار الكبار تأخذ طريقها إليهم بالفرض والاستعلاء ، والإحساس بأن الكبير يتعامل مع الصغير ... وإذا كان الكاتب يعبر عن ذاته . وهو يتحدث إلى الكبار فإن « كاتب الأطفال » إنما يتحدث عن عالم الصغار ، وعن عجائب الكبار فيقوم بنقل عالم الكبار إلى عالم الصغير ، ويعمل فى الوقت نفسه على مزج العالمين من خلال الرموز والشخصيات المحببة للصغار والتأكيد دائما على فضائل وقيم وحنان ودفء وطيبة الكبار ... نستطيع أن نرصد – إذن – فى الخطاب الأدبى لعالم الصغار جدلا واضحا بين عالم الطفولة وعالم الكبار من خلال مبدع « أدب الطفل » لكن بإحساس الصغار ، ومن خلال رؤيتهم .. وهذه العلاقة التى ترسم التعبيرات والصور ، والإرشادات الذكية اللماحة ، بوصفها جميعها تداعيات وتداعيات يعيشها الأطفال ، إنما تضع على عاتق المبدع والكاتب والمفكر فى إطار الخطاب لعالم الصغار مسئولية نقل العالم بخبراته ومعلوماته والكون بسماته وأرضه ونجومه ، وجميع أشيائه – رؤية تتسع وتضيق وتتسطح وتعمق حسب ظروف وطبيعة مراحل واستعدادات هؤلاء الصغار . أى أن المبدع ، ينبغى أن يعيش طفولته ، وهو يكتب .

ثانيا : الأجناس الأدبية والطفل :

إذا كان الأدب بعامة يتنوع إلى أنواع قولية وأجناس أدبية تجاوزت المعهود عنه مما أضحى معه الأدب نوعا من أنواع المعارف وعلوم الإنسان ، ومجالا واسعا من مجالات الإبداع والنقد الإنسانيين – فإن أدب الطفل يتميز بخصوصية النوع ، وخصائص أجناسه الأدبية . وإن نظرة فاحصة لكل ما أبدعه الأدباء والفنانون والمفكرون ، ستوقفنا على أن هذه الأجناس قد استقر النقاد على اعتبارها أشكالاً تلبى طبيعة المبدع ، وتفى باحتياجات اللغة فنيًا ، وتتجاوب مع المواقف الاجتماعية والإنسانية .. وهى

بهذا تتسع لتشمل كثيرا من الأشكال الواعدة التى سيكشف عنها التفكير اللغوى الحديث ، ونظريات النقد اللغوى والألسنية ، وما يتفرع من دراسات وإبداعات . أما الأجناس الأدبية ، التى تشكل وتكون « أدب الطفل » فإنها تخضع لشروط الطفل ، وإمكاناته ، وخصائص مراحل عمره لغويا وتربويا وثقافيا وتعليميا . من ثم فإن هناك في مجال الأجناس الأدبية بشكل عام حرية تامة ، مبنية على أسس فنية واجتماعية وأصالة شخصية .. ولما كان الأدب فى عامته فنًا من فنون القول الجميلة .. فإن الحكم له أو عليه ، موكول للذوق السليم ، والتذوق الجمالى الناضج .. وعليه فليست الحرية سوى ابتداع أشكال وإضافات وإبداعات وأشكال يستلهمها الفنان ، ويقبض عليها الذوق ويوثق لها ، ويمنحها حق الانتشار وحمل رسالة الأدب والفن ... أما ما نحن بصدده من إبداع يدور فى إطار الحاجات التربوية التوجيهية ، وبناء الإنسان القابع فى الطفل .. فإن الأمر يحتاج إلى وقفة تتعامل مع هذا الأدب على أنه أدب مؤسسة وأدب اجتماعى فى خدمة أهدافه المخصوصة . فهو أدب التزامى تنويرى مستقبلى ، وفى حدود ما ينبغى قوله وإبداعه لبناء عالم الطفل .. أما الأدب بعامة فهو أدب الوجدان المبدع والتذوق الفردى المرهف والبقاء دائما للأصلح .. فالجنس الأدبى فى إطار أدب الطفل له قيوده وحدوده . والتزام الحرية هنالك لا يعنى أو تعنى أن شيئا ما يقع فى هذا الكون الأدبى دون ضابط ، وإنما العبرة فى أن الحرية الأدبية فى خلق وإضافة أجناس أدبية تفرض شروطا تأتى من داخل العمل الأدبى والفنى نفسه ... أما الالتزام فإنه خاضع لمناهج تفرضها خصوصيات الأطفال وعالمهم المتميز ، وخلال مرحلة عمرية ممتدة لكن متنوعة تقوم الحياة خلالها بدورها وبتكوين عناصر حيوية وتقوم عناصر الطفولة « البيولوجية » و« السيكلوجية » و« الفسيولوجية » بوظائف تتطلب أشكالا معينة تتفق وتلك الوظائف التى تنشط بشكل خاص خلال تلك المرحلة ... وفى الصفحات التالية سنلتقى بتلك الأنواع فى إطارها التربوى والتثقيفى والجمالى ...

ثم نعرض بتفصيل لنماذج فنية من تراثنا الأدبى والفنى . على أنه ينبغى التأكيد على أن أدب الطفل بأجناسه الأدبية ، يقوم على المتعة وبناء الوجدان ، وتقوية العاطفة ، والاهتمام بالفرجة باعتبارها عنصرا أصيلا فى رسالة الفن إلى عالم الأطفال . وفيما يلى سنتعرف على أنواع أدب الطفل .

ثالثا : أنواع أدب الطفل :

١ - **الأدب الإلهي والنبوى** : يقف على قمة الآداب اللغوية الإنسانية الأدب الإلهى :

وهو فى أعلى مراتب الكمال والإعجاز . ويصبح على كل طفل ، أن يدرك القيم الإسلامية الفاضلة والحكيمة التى يدعو إليها الإسلام ، وذلك من خلال حفظه للآيات الكريمة الحاضة على كل ما يتصل بالأسرة والمجتمع والحياة ، كما يحفظ آيات تبين له عظمة القرآن الكريم فى أسلوبه وجمال تعبيراته وقوة لغته ، وأثر هذا كله على بناء شخصيته ، وتقويم لسانه ، والكشف عن قدراته اللغوية ، والفكرية ، والإبداعية ، وتربية روحه تربية إسلامية ، وتهذيب حواسه تهذيبا يستهدف الخلق الإسلامى الذى يسرى فى آى القرآن الكريم ، ويدعم هذا الدور دراسة وحفظ أحاديث نبوية شريفة يفيض بها الأدب النبوى الشريف ... حيث الأدب الإلهى ، والأدب النبوى معينان ثران بالتربية الصحيحة ، ومناهجهما المستقيمة . تلك التربية التى تعود على الطفل فى كل مقوماته وعناصر شخصيته اللغوية والفكرية والخلقية والإبداعية الكثير من الإيجابيات التى تعمق فى الطفل وشخصيته كل التوجهات الكريمة والنشأة الصحيحة .

٢ - **الشعر والأناشيد** : وهما شكلان يثيران فى الطفل أرقى الأحاسيس وأنبل العواطف ويربطانه بتراثه اللغوى والدينى والقومى والوطنى ، ويؤكدان له دائما جمال الحياة وبهجتها ، ووداعتها وهما محببان للأطفال . والأناشيد على وجه الخصوص ذات أثر عميق وإيجابى فى حياة الطفل ، ونفوس الصغار ... حيث يرددونها (أشعارا وأناشيد) فى سعادة ، ويتحركون على نغمات الموسيقا ، ويمثلون المعانى التى تشير إليها الأشعار والأناشيد التى يتغنون بها ، وتعمل هذه المظاهر الغنائية والموسيقية التى تجمع بين الأطفال على التأكيد على الوجدان الاجتماعى لديهم ، وتقيم بينهم روابط تصطنع فى نفوسهم الوطنية والقومية والتعاون ، والمودة والمحبة ، وتعمل الأشعار بخاصة على تهذيبهم ، ورقة مشاعرهم . ويعود هذا فى المقام الأول إلى حسن اختيار نصوص الشعر والأناشيد ، وإلى أنها ترضى حاجات الطفل وأنشطته المختلفة ، مثل : أناشيد الرحلات ، والألعاب ، والبيت والمدرسة ، والوطن والطفولة ... وأن يكون الشعر حافلا بالمعانى البسيطة المتصلة بحياة الأطفال ، متميزا بأسلوبه السهل ، وألفاظه الرشيقة ، وجمله الخفيفة معنى وكلمة وموسقة ، وأن تبعث على الحماس والانتماء واللقاء .

٣ – **القصة والأقصوصة والحكاية** : وهذه الأشكال التعبيرية الفنية من أحب فنون القول إلى الطفل ، لما تتميز به من إثارة وشد انتباه ، وبما عرف عنها من حركة مستمرة ، وصراع حاد مع المجهول ، واكتشاف له ، وتطور للأحداث ، وتطوير لها بفعل المهارة ، والقدرة على الحل كما أن الأحداث خلال هذه الأشكال ، تجرى على أيدى مجموعة من الشخصيات فى شكل صراع شائق ، يشوق الطفل ، ويحثه على المشاركة .

٤ – **الفلوكلوريات والموروث الشعبى** : هناك رغبة قوية فى أن تظل الشعوب . مرتبطة ارتباطا وثيقا بالموروثات الشعبية العريقة ، وأن تقوى لصلة بين هذه الموروثات والحاضر الحديث ... ومن وجهة نظرى ، فإن الأطفال يصبحون أهم وسائط الحرص على دعم هذه العلاقات وتوثيق الصلة بين الماضى والحاضر . وذلك عن طريق القص والحكى الذى يقوم به الأجداد والجدات والأمهات ويتلقاه الأطفال مشافهة ، أو عن طريق الاستماع . إذ بمثل هذه الواسطة – ضمن وسائط أخرى – نستطيع أن نحافظ على الموروث الشعبى (الفلوكلور) – فما هذا الموروث ؟ ؟ .. إنه معظم العادات والثقافات والفنون التى يبدعها الفنان الشعبى المجهول والمعتقدات والخرافات والأساطير وفنون التعبير ، من حكايات شعبية وحواديت ، وملاحم وسير أبطال خرافيين ، ومثل هذه الموروثات تنبع من شائعة ، ثم تتحول إلى خرافة ، لتصبح الأخيرة أسطورة فى مرحلة متقدمة من التاريخ ... أما الحواديت فإبداع فردى لكنه مرتبط فى الوجدان بهذه الموروثات . وتلقى الطفل لهذا الموروث فى مرحلة من مراحل نموه ، يساعده على تربية خياله وذوقه ، ويمنحه القدرة على التجاوز والامتداد ليستطيع أن يكون مواقف يعبر من خلالها عن ذاته وشخصيته ... ثم إنها فى مرحلة متقدمة من مراحل نموه تمنحه الخبرة والمتعة ، وقوة التصور ، وتثريه بالنماذج الإيجابية وتشخص له عوالمه المجردة ، ومثله العليا الرفيعة . ولما كان الطفل مرفه الحواس ... وربما كانت حاسة السمع أكثر حواسه إرهافا .. من ثم كانت أذنه الطريق الموصلة إلى عالم الخرافة والمغامرة . ويكون الإلقاء والسرد الصادران عن أصوات تتميز بالعمق والدفء والحنان ، وهى أصوات الجدات والأمهات ، أفضل الوسائل لتغذية الطفل بالمادة القصصية الخرافية ، والأسطورية الخيالية ، وهذا ما نوه به علماء التربية من أن الطفل يمتلك حاسة سادسة يستطيع بها أن يدرك قيمة ما فى الأعمال الأدبية والفنية بعامة من جمال ، وما فى الحواديت والخرافات بخاصة من سحر وجمال ، وتتكون لديه قدرات على الحلول المناسبة ، وتعمل هذه الأحداث وصراع الشخصيات حولها ومنها وبها ، على تعميق آداب الاستماع والإنصات لدى

الطفل ؛ ويكون الحدث حينئذ بمثابة مرحلة تلق إيجابي من جانب الصغار ، وينبغي – تحقيقًا لهذا كله – أن يتم اختيار هذه الأنواع من فن القصة اختيارا يقوم على السهولة والاحتفال بالمعارف والتجارب . والخبرات وعلى طاقة إبداعية وخيالية ، وثقافة عاطفية وزخم في المشاعر المثارة حول الحبكة ، ومشكلاتها والشخصيات التي تقوم بتحريك الأحداث وتطويرها .

٥ – **المسرحيات والتمثيليات** : وهي قمة الحركة الفنية ، وأوضح مثال على صعود هذه الحركة في اتجاه العقدة التي يتمحور حولها نشاط الطفل ، وانتباهه ، وإبداعه وابتكاره نحو الحل ... كما أن هذه الأشكال مصدر سعادة وانبهار ومتعة للصغار ، وهم يحبون مثل هذه الأنواع ، لأنهم قادرون على القيام ببعض الأدوار ... بل بكـها أحيانا ، فهي وعاء خصب لنشاطهم ، وبلورة هواياتهم ويستطيعون تنفيذ ألوان من التمثيليات والمسرحيات داخل حجرات الدروس وفي الفناء وفي الميادين العامة والحواري والساحات .. من ثم كان إقبال الأطفال عليها . وينبغي أن نتأكد ، ونحن نكتب مسرحيات للصغار ، أننا نراعي مراحل نموهم وقدراتهم ، وخبراتهم ... حيث اللغة والأفكار ، والأخيلة ، والعواطف ، مناسبة لكل مرحلة ، وأن نهتم – أحيانا – بمسح منهج التعليم المطبق على عالم الصغار ، وأن تخلو كتابة وتمثيلا من التكلف ، والتصنع والإغراق في العاطفة المهزومة . وشخصيات الأطفال إيجابية ، وذات توجهات عامة وخاصة يستفيد منها الطفل معلومات عن نفسه وعالمه وأبناء مجتمعه ، وعالمهم ، والوطن ، وهمومه والآمال حوله والدين ومعارفه ، وفضائله ، وشخصياته العظيمة .

٦ – **الكتابات الإبداعية** : وهي الكتابات التي يكتبها الأطفال ، أو يسمعونها أو يطالعونها في الصحف والمجلات ، وتطالعهم في المقالات الأدبية الوصفية الصادرة عن الوجدان ... وهي تتناول الكتابات الصحفية ، والتراجم الذاتية ، وتراجم الشخصيات التاريخية ، وأدب الرحلات ، والأدب الوصفي والقصصي والأدب الإنشائي والمسرحي ، وتحقيقا لتنمية هواية الكتابة الإبداعية لدى الأطفال ، ينبغي تدريبهم على كتابة خواطرهم ، وتسجيلها ، ووصف ما تقع عليه أبصارهم من جمال طبيعي ، ومواقف إنسانية ، وتراجم ذاتية . فأدب الأطفال لهذا يعد من أقوى الوسائل لترقية وجدان الطفل ، وتنمية قدراته التعبيرية والإبداعية ، وربطه بأجمل ما في أشكال الإبداع اللغوي من نماذج تتخاطب مع الضمير والعقل والقلب والكيان كله .. كما يحقق للطفل المتعة الفنية والقيمة التربوية ، والحقيقة العلمية . من ثم ينبغي أن تنبع أهمية الكتابة للطفل من جوهر اجتماعي ونفسي

وإنسانى وجمالى ، حتى يمكن تكامل البنى النفسية والوجدانية والعقلية للمجتمع ... وهذه الأشكال التعبيرية الفنية التى تكون الأساس الذى ينهض عليه « عالم أدب الطفل » تنقسم إلى نوعين :

(أ) نوع يدور حول الطفل ، موضوعا ، وتوجها ، واهتماما ، ويبرز أهم قضايا الطفولة . وهذا النوع يتعامل معه الكبار على أنه صدى لدراسات تربوية وإحساس مفعم بحاجات الطفل واحتياجات عالمه روحيا وثقافيا واجتماعيا .

(ب) ونوع يخاطب الطفل بلغته ، وأساليبه ، وخصوصيات أدب الطفولة ، ويدور حول المتعة الفنية والجمالية التى يستشعرها ، ويقدم للطفل عالمه لبرئ وخصائص مرحلته من خلال التوازن الأدبى اللغوى ، وعالم الطفل ومرحلة نموه ؛ وفى الصفحات القادمة سنعيش واقع النص الأدبى فى إطار أدب الطفل .

ومن بين هذين النوعين ، يتشكل مع نمو الطفل ، نوع أدبى ، يقوم الطفل بإبداعه وهذا النوع هو الذى يمثل المناخ الذى تتربى فيه هواية الطفل الإبداعية ، على أن هذه الهواية ، تأخذ فى النمو مرتوية من النوعين السابقين ، إلى أن تبثق الكلمة ، التى تجرى فى عروقها رحيق الفن ، من روح الفنان الشاعر أو المسرحى ، أو القصصى ، الذى كان طفلا على أول طريق الهواية .